نفخ الروح والتسوية

تأليف حجة الإسلام أبي حامد الغزالي المتوفى ٥٠٥ سنة هـ

وفي التقديم للكتاب: أدلة أهل الكتاب على إثبات بعث الأموات

أدلة من التوراة والتلمود والإنجيل

قال الله تعالى:

« فإذا سويته ونفخت فيه من روحي؛ فقعوا له ساجدين ».

(سورة ص: ٧٢)

تحقيق الدكتور الشيخ

أحمد حجازي السقا

الدكتوراه من جامعة الأزهر

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة المدينة المنورة

تقسيم ثروت - منزلقان المطرية

ص ب ٢٣١٨ - ت ٩٣٨٩٣١

الطبعة الأولى

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

مطبعة دار البيان

ت ٩٣٨٦١٩



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين ، وعلى من اتبع دعوته ، ونصر شريعته ، ودعا إلى سنته . آمين .

وبعد

فاسم هذا الكتاب : « نفخ الروح والتسوية » نطبعه على النسخة الخطية المصورة بالميكروفيلم في معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية بمصر - ٦ شارع أبو بكر الصديق بالدقى -

ومؤلفه هو الإمام أبو حامد الغزالى . وترجمته هكذا :—

محمد الغزالى

٤٥٠ — ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ — ١١١١ م

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى الشافعى ، المعروف بالغزالى (زين الدين ، حجة الإسلام ، أبو حامد) حكيم ، متكلم ، فقيه ، أصولى ، صوفى ، مشارك فى أنواع من العلوم ، ولد بالطابران - إحدى قصبتى طوس بخراسان - وطلب الفقه لتحصيل القوت ، ثم ارتحل إلى أبى نصر الإسماعيلى بجرجان . ثم إلى إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى بنيسابور . فاشتغل عليه ولازمه ثم جلس للإقراء ، وحضر مجلس نظام الملك . فأقبل عليه نظام الملك ، فعظمت منزلة الغزالى . وندب للتدريس بنظامية بغداد ، ثم أقبل على العبادة والسياحة . فخرج إلى الحجاز فحج ، ورجع إلى دمشق فاستوطنها عشر سنين ، ثم سار إلى القدس والإسكندرية ، ثم عاد إلى وطنه بطوس ثم إن الوزير فخر الدين ابن نظام الملك طلبه إلى نظامية نيسابور فأجابه إلى ذلك ثم عاد إلى وطنه . وابتنى إلى جواره خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين ولزم الانقطاع وتوفى بالطابران . ومن تصانيفه الكثيرة : إحياء علوم الدين ، والحصن الحصين فى

التجريد والتوحيد، وتهافت الفلاسفة، والوجيز فى فروع الفقه الشافعى، والمستصفى فى أصول الفقه (١).

• • •

ولما كان موضوع الكتاب : الحياة الآخرة بعد الموت . رأيت أن أذكر إثبات البعث فى الشرائع السماوية السابقة . لأن كثيرا من علماء المسلمين لم يحسنوا عرض قضية البعث فيها .

١ — يقول القاضى أبو الوليد محمد بن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ فى كتابه « تهافت التهافت »

« أول من قال بحشر الأجساد هم أنبياء بنى إسرائيل الذين أتوا بعد موسى عليه السلام . وذلك بين من الزبور. ومن أكثر الصحف المنسوبة لبنى إسرائيل(٢) »

وقوله ظاهر الخطأ فإن أول من قال بحشر الأجساد من بنى إسرائيل هو موسى عليه السلام فى الأسفار الخمسة . فى الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية ـ كما كتبوا ـ

٢ — ويقول الإمام أبو محمد على بن حزم الأندلسى الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » .

عن السامريين من بنى إسرائيل « ولا يقرون بالبعث البتة (٣) » وقوله ظاهر الخطأ فإن التوراة السامرية نصت صراحة على البعث فى الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية . والتوراة العبرانية نصت على البعث بما يحتمل الجزاء فى الدنيا أو الجزاء فى الآخرة. وابن حزم بقوله هذا قد ألحق بنفسه ما ألحقه هو بغيره فى قوله: « فإن كثيراً من الناس كتبوا فى افتراق الناس فى دياناتهم ومقالاتهم كتباً كثيرة جداً

(١) معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة ـ المجلد السادس

(٢) ص ٨٦٤ القسم الثانى من تهافت التهافت تحقيق سليمان دنيا . نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ـ[أنظر ،الزبور ٤٨ : ١٥ — ١٦ أشعياء ٦٥ : ١٣ — ١٥ دانيال ١٢ـ٨٣ أيوب ١٩ : ٢٥ـ٢٧]

(٣) ص ٩٩ ج ١ الفصل . مكتبة المثنى ببغداد

فبعض أطال وأسهب وأكثر وهجر واستعمل الأغاليط والشغب(١) » .

ولقوله هذا فى غيره لا يعذر ، وكيف يعذر وهو يقول « ولم يقع إلينا توراة السامرية (٢) »؟ إذا كان هو لم يحصل على توراة السامرية فكيف ساغ لنفسه أن يحكم على أصحابها بحكم عقائدى كبير ، هو البعث؟

إن السامريين هم الذين صرحوا بالبعث وخاصموا العبرانيين فى عدم تصريحهم به كما يأتى .

وابن حزم لا يقول إن السامريين وحدهم هم الذين ينكرون البعث من بنى إسرائيل بل يقول أيضاً واليهود العبرانيون ينكرون البعث ، ويصف الجميع بأنهم يجسمون الله تجسيما وقد رددت عليه فى قوله إن اليهود يجسمون الله فى كتابنا « الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والإسلام » . وفى كتابنا « أقانيم النصارى » يقول ما نصه : « وإن دين اليهود ليميل إلى هذا ميلا شديداً (٣) لأنه ليس فى توراتهم ذكر معاد أصلا ، ولا الجزاء بعد الموت ، وهذا مذهب الدهرية بلا كلفة ، فقد جمعوا الدهرية والشك والتشبيه ، وكل حق فى العالم (٤) » .

٣ — والإمام الشيخ محمد أبو زهرة يقول فى كتابه « محاضرات فى النصرانية » : « إن اليهود الذين جاء المسيح مبشراً بهذه الديانة بينهم كان يغلب عليهم النزعات المادية وكان منهم من يفهم أن الحياة الدنيا هى غاية بنى الإنسان ، بل ان التوراة التى بأيديهم خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه أو جحيمه (٥) »

---

(١) مقدمة الفصل

(٢) ص ١١٧ ج ١

(٣) يشير بهذا إلى قول الملحدين إن الناس كالعشب إذا خرجت أرواحهم نسوا ولا يعلمون مكانهم ولا يفهموز بعد ذلك

(٤) ص ٢٠٧ ج ١ الفصل

(٥) ص ١٢ محاضرات فى النصرانية . طبعة معهد الدراسات الإسلامية بمصر

النص عن يوم القيامة فى التوراة العبرانية

النص : يقول الله تعالى : - كما كتبوا - « إنهم أمة عديمة الرأى ، ولا بصيرة فيهم ، لو عقلوا لفطنوا بهذه ، وتأملوا آخرتهم . كيف يطرد واحد ألفا ، ويهزم إثنان ربوة ؟ لولا أن صخرهم باعهم ، والرب سلمهم ، لأنه ليس كصخرنا صخرهم .

ولو كان أعداؤنا القضاة لأن من جفنة سدوم (١) جفنتهم، ومن كروم عمورة . عنبهم عنب سم ، ولهم عناقيد مرارة خمرهم حمة الثعابين ، وسم الأصلال القاتل .

أليس ذلك مكنوزاً عندى . مختوماً عليه فى خزائنى ؟ لى النقمة والجزاء . فى وقت تزل أقدامهم . إن يوم هلاكهم قريب ، والمهيآت لهم مسرعة ، لأن الرب يدين شعبه ، وعلى عبيده يشفق . حين يرى أن اليد قد مضت ولم يبق محجوز ولا مطلق . يقول : أين آلهتهم الصخرة التى التجأوا إليها ؟ التى كانت تأكل شحم ذبائحهم وتشرب خمر سكائبهم . لتقم وتساعدكم وتكن عليكم حماية .

انظروا الآن . أنا ، أنا هو ، وليس إله معى . أنا أميت وأحيي ، سحقت وإنى أشفى، وليس من يدى مخلص. إنى أرفع إلى السماء يدى ، وأقول: حى أنا إلى الأبد . إذا سننت سيفى البارق ، وأمسكت بالقضاء يدى أرد نقمة على أضدادى ، وأجازى مبغضى . أسكر سهامى بدم ، ويأكل سيفى لحما . بدم القتلى والسبايا ، ومن رؤوس قواد العدو .

تهللوا أيها الأمم شعبه ، لأنه ينتقم بدم عبيده ، ويرد نقمة على أضداده ، ويصفح عن أرضه . عن شعبه » (الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية . من الآية الثامنة والعشرين إلى الآية الثالثة والأربعين) .

هذا هو النص على يوم القيامة فى التوراة العبرانية . فما الفرق بينه وبين النص

(١) سدوم ، وعمورة : هلكا بعنادهم لوطا عليه السلام .

نفسه فى التوراة السامرية ؟ لافرق . إلا فى كلمة واحدة هى : « إنتقام(١) » فى العبرانية و « الإنتقام(٢) » فى السامرية ، وبقية النص فى العبرانية والسامرية لا اختلاف فيه.

وتدل كلمة « إنتقام » على أى وقت للنقمة والجزاء ، هذا الوقت قد يكون فى الدنيا ، وقد يكون فى الآخرة . وقد يكون الآن أو غدا .

وتدل كلمة « الإنتقام » على وقت محدد . فما هو الوقت المحدد ؟ يجيب على هذا الوقت المحدد : السامريون أنفسهم فإنهم أعرف الناس بلغة توراتهم . يقول السامريون : إن هذا الوقت المحدد الذى تدل عليه كلمة « الإنتقام » هو يوم القيامة.

وقد وجهوا إتهاما لعلماء العبرانيين بالتحريف فى هذا النص ليسهلوا على رعيتهم إرتكاب الآثام .

يقول مؤرخ سامرى عن هذا الإتهام مانصه :

« ما نحن مختلفون فيه(٣) : الفصل الذى هو أحق بالمعاد وهو قوله عندنا(٤)

(. . . . .)

وعندهم (. . . . .)

---

(١) انتقام من ترجمة عبرية كانت فى زمن المؤرخ السامرى الآتى ذكره وترجمتها الحالية سنة ١٩٧٠ بالعربية (فى وقت تزل أقدامهم) .

(٢) ترجمتها فى النص السامرى (فى يوم الإنتقام) . أنظر التوراة السامرية فى دار الأنصار بمصر

(٣) أى بيننا نحن السامريين والعبرانيين وموضع النقط : كلمات بحروف عبرانية لم نضعها وفى الهامش كتبنا ترجمتها

(٤) ترجمة قوله عندنا ، أى عند السامريين : (إن أعمالهم عندى ، ومذخورة فى خزائنى الى يوم الإنتقام)

وترجمة وعندهم : [أليس ذلك مكنوزا عندى مختوما عليه فى خزائنى لى النقمة والجزاء ، فى وقت تزل أقدامهم] (تث ٣٢ : ٣٤ — ٣٥)

وبين قوله « لى إنتقام ومكافأة » وبين قوله « إن أعمالهم عندى ، ومذخورة فى خزائنى إلى يوم الإنتقام » بون عظيم وفرق كبير ، لأنه يقتضى نصهم يجوز أن ينتقم الساعة وغدا وما قبل وما بعد ويجوز أن يكون ذلك فى الدنيا ، ويجوز أن يكون فى الآخرة. وعندنا (١) لما وصف الجمهور التى شغلت أعداءه عن الطاعة(٢) وكسبتهم التجرؤ ، والتفخم على المعاصى بأنها حر الأراقم وسم الحيات الحقدة. قوله(٣)

(. . . . .)

ومعلوم أن الأعناب فى عاجل الأمر ، ليست هى سم ، ولا قطوفها مرائر ، وإنما أراد مايؤول إليه حال مستعملها ، فاتنا عن سوء منقلبهم فى الآخرة ، ولهذا قال بعده على سبيل التقدير : « أليس ذلك مكنوزاً عندى ومذخورا فى خزائنى ؟ إلى يوم الإنتقام والمكافأة » وليس فى الدنيا للناس يوم هذا صفته . ثم إنه قال فى هذا الفصل(٤) (. . . . .)

ولا يميت إلا من هو حى ، ولا يحيا إلا من هو ميت . ثم قال فى آخرة الوعيد(٥) : (. . . . .)

بشرى لطائفة العاملين بشريعته ، بأنه يقتص دماءهم ممن ظلمهم . وقال بعد هذا الفصل : « وبالإنتقام أكافى معاندى (٦) » بمعنى يكر العقاب على أضداده والتاركى العلم والعمل بما تقتضيه شريعته . وقال : « أطهر تربة قومى(٧) »

---

(١) يقصد فى التوراة السامرية

(٢) لاحظ ركاكة الترجمة

(٣) ترجمة قوله هذا [عنبهم عنب سم ، ولهم عناقيد مرارة ، خمرهم حمة الثعابين وسم الأصلال القاتل] (تث ٣٢ : ٣٢ — ٣٣)

(٤) ترجمته : [أنا . أنا هو وليس إله معى ، أنا أميت ، وأحيي]

(٥) ترجمته : [تهللوا • أيها الأمم شعبه • لأنه ينتقم بدم عبيده ، ويرد نقمة على أضداده]

(٦) نصها فى العبرانية [ويرد نقمة على أضداده]

(٧) نصها فى العبرانية [ويصفح عن أرضه ، عن شعبه]

والسر : أنه تعالى ألزم لامس القبر سبعة أيام ، ولا يطهر إلا بعد التكفير في اليوم الثالث والسابع ، وحينئذ يتخلص من الطماء وينتقل إلى رتبة الطهر ،

فكذلك فاعل الطاعة ، فإن طاعتهم تخلصهم مما يتخالط بهم من الطاوات(١) ، وما يلوم ماس تربهم ، طماء بهم ، فطهروا العالم كما أن ترب العصاة مطمية (٢) » ا . هـ بنصه .

... ...

هذا هو النص في توراة موسى (الأسفار الخمسة) عن يوم القيامة ، وهو محل خلاف بين السامريين والعبرانيين كما رأيت . فهل استشهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بهذا النص على يوم القيامة لما سأله اليهود الصدوقيون ؟

إن الصدوقيين طائفة من اليهود العبرانيين ، يعرفون أن التوراة محرفة في بابل ومن آيات التحريف: النص على يوم القيامة . إنه موضوع على طريقة « تحريف الكلم من بعد مواضعه » أي نص يحتمل معنيين كما عبر القرآن عنهم « يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا » ولهذه المعرفة سألوا المسيح وهم مطمأنين على أن النص غير واضح . والمسيح كان يعرف أن النص غير واضح لأنه هو من طائفة العبرانيين ونشأ في هيكل سليمان يسمع العلماء ويحاورهم . فبماذا أجاب المسيح لما سأله الصدوقيون عن البعث ؟

أجاب بأن الله تعالى تحدث عن إبراهيم وإسحق ويعقوب بعد موتهم ، تحدث عنهم مع موسى عليه السلام في طور سيناء ، وحيث أن الله حي فهم أحياء . لأنهم لو كانوا أمواتاً ما تحدث الحي عنهم(٣) .

* * *

---

(١) الطاوات ـ النجاسات

(٢) التاريخ مما تقدم عن الآباء

(٣) الأصحاح الثالث من سفر الخروج الآية السادسة ، والأصحاح الثاني والعشرين من إنجيل متى الآية الحادية والثلاثون وما بعدها

وعلماء بنى إسرائيل من السامريين والعبرانيين يعرفون الناس أن يوم القيامة حق. وأن الساعة لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور . وهم لا يعرفون الناس بهذه إلا لاستنادهم على توراة موسى ، لأنها الأصل فى العقيدة والشريعة . فلو كانت توراة موسى - عليه السلام - خالية من ذكر البعث لكان تعليم علماء بنى إسرائيل بغير دليل كيف وهم ملتزمون بالتوراة لايودون تركها ولا الخروج عليها. ولا تقرير شيء ليس فيها ذكر عنه ؟

١ — فى كتاب التلمود) وهو كتاب أحكام العبادات والمعاملات وتفسير الشريعة عند اليهود ما نصه : « قال يوسى بن يوحانان : ليكن بيتك مفتوحا على الرحب والسعة ولتكن الفقراء كبنى بيتك ، ولا تكثر الحديث مع المرأة ،وخصوصا امرأة قريبك . وقد استند الأئمة على هذا الكلام فقالوا : كل من أطال الكلام مع المرأة بسبب الضرر لنفسه ، ويلتهى عن درس الناموس ، وآخرته : ميراث جهنم » (المشنة الخامسة) .

٢ — يقول ابن كمونة وهو من اليهود العبرانيين عن اليهود : « وجميع ما وصاهم الله به على لسان رسوله الأمين موسى صلوات الله عليه هو اعتقاد التوحيد وترك عبادة الأصنام وأن لا يشركوا بالله شيئاً وأن ينزهوه عن الشبيه والنظير والمعين والمشير وأن يعبدوه وحده ويحبوه بكل قلوبهم وأنفسهم وجهدهم ويخافوه ويستعينوا به ويتوكلوا عليه وأن يعتقدوا أنه العالم الذى لا يعزب عن علمه شيء والقادر على كل شيء والخالق لكل شيء وأنه هو الذى يميت ويحيي ويمرض ويشفى ولا منجى من قدرته وأنه الأول والآخر . لا إله آخر سواه . وأمرهم بمكارم الأخلاق ، وبالصلاة والصوم، والصدقة والعدل،والإنصاف والوفاء بالعهد. والنذر وإكرام الوالدين والعلماء . وإطاعة الولاة وإكرامهم وأن يحبوا لغيرهم من الخير مايحبونه لأنفسهم. وعرفهم ما يسلكونه من طريق السياسات المنزلية والمدنية والنفسية . ونهاهم عن الرذائل والجور والقتل والسرقة والزناء وتمنى مال الغير .

واعتقدت اليهود أن ثواب الطاعة هو الخلود فى نعيم الجنة والعالم الآتى . وعقاب

المعصية هو العذاب فى جهنم من غير خلود لمعتقد هذه الشريعة[١] وإن كان عاصياً. ولم يبين شيء من ذلك فى التوراة تبييناً مصرحاً. للسبب الذى سنذكره. ولكن أحبار الأمة وعلماءها ونقلة شرعهم نقلوه وذكروا صفة الجنة وجهنم ووصفوا النعيم والعذاب بأشد استقصاء وأوجبوا ذكر الإيمان بإحياء الأموات فى كل صلاة وحكموا بأنه لا تصح صلاة أخل فيها بذلك وأوجبوا ذكره أيضاً فى كل يوم من غير الصلاة وأوجبوا أيضاً عند رؤية مقابر هذه الأمة ولقنوا من وجب قتله عندهم قبل قتله أن أن يسأل أن تكون قتلته تلك كفارة عن ذنبه. ومنهم من اعتقد أن بعث الأموات يحصل مرتين مرة فى زمن المسيح المنتظر عندهم وذلك البعث مختص بالصالحين من الأمة على وجه المعجز للمسيح وكرامة لأولئك الصالحين وتارة ببعث الموتى فى القيامة العامة لكافة الناس. الصالحين منهم والطالحين للجزاء بالثواب الأبدى على الطاعة وبالعقاب على المعصية.

واعتقدوا أيضاً بقاء الأنفس بعد فساد الأجساد وأنها لا تعدم أبداً لورود ذلك فى كتب الأنبياء بعد موسى -عليه السلام- ولنقل أحبارهم وعلمائهم الصادقين له.

ونبغ منهم من زعم أن العالم الآتى هو ما بعد الموت فقط. وأن الثواب الأبدى والعقاب إنما هو للأنفس المجردة بعد خراب أجسادها وليسا جسمانيين، بل هما روحانيان فحسب والنصوص الكثيرة المنقولة عن علمائهم وحملة شرعهم ناطقة بالمجازاة بالثواب والعقاب بعد عود الأنفس إلى الأبدان، وهى غير محتملة للتأويل عند كل عاقل يتأملها جيداً (٢)» ا. هـ

---

(١) وقالوا: لن تمسنا النار إلا أياما معدودة [البقرة ٨٠]
(٢) ص ٢٦ - ٢٧ تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث - عنى بنشره، موسى برلناف

عقيدة بعث الأموات عند النصارى

ويقول اليهودى ابن كمونة عن عقيدة البعث عند النصارى :—

« وكل النصارى يؤمنون ببعث الأجساد ، وبالثواب فى الجنة ، ويعبرون عنها بالفردوس ، والعقاب فى جهنم إلا أنهم لا يقولون إلا بالثواب والعقاب الروحانيين دون الجسمانيين . وقالوا : إن الصالحين يصيرون فى ملكوت السماء ، كالملائكة ، أو فى ملكوت الله . ويعتقدون بقاء الأنفس الإنسانية بعد خراب الأجساد بالموت(١) » ا . هـ

ويقول ابن كمونة : كيف ينكر النصارى البعث من الأموات وهم يعترفون بأسفار موسى الخمسة وأسفار الأنبياء[٢]. وذلك لأن المسيح بين لهم أنه ما جاء لنسخ الشريعة أى الأسفار الخمسه ولا لنسخ أسفار الأنبياء ؟ يقول ابن كمونة :—

« فإن النصارى يعترفون بنبوة موسى والأنبياء الذين على ملته عليه السلام وبجميع المعجزات التى لهم وبصحة التوراة وكتب النبوات . ولا يمكنهم جحود أن اليهود يقرون بالقيامة والمعاد بعد الموت فإن فى السليحين(٣) أن فُولُس الذى كان اسمه شاؤول كان يقول أنه من الفريشانيين الذين يقولون بالرجاء والقيامة والملائكة والروح بخلاف الصدوقيين المتزندقة فى اليهود فى ذلك الزمان وهم أتباع رجل يقال له صدوق فإنهم لا يقولون بذلك كله . والفريشانيون هم جمهور اليهود من قبل والآن

---

(١) ص ٥٣ تنقيح الأبحاث

(٢) للمعرفة عن الأسفار الخمسة وأسفار الأنبياء ، اقرأ كتاب إظهار الحق لرحمت الله الهندى طبعة مصر سنة ١٩٧٨ — دار التراث العربى

(٣) سفر أعمال الرسل وقول بولس فى الأصحاح الثالث والعشرين

يسمون بالربانيين وأما أتباع صدوق فكانوا قلائل وانقرضوا عن آخرهم واضمحل مذهبهم .

وفى الإنجيل عدة مواضع تدل على قول اليهود بالمجازاة بعد الموت تظهر لمن يتأملها لكنهم يدعون أن شريعة التوراة نسخها السيد المسيح . هذا مع أن فى الإنجيل ما معناه « أنى لم أجىء لأنقض توراة موسى ، ولكن جئت أتممها بعمل الحق . أمين ، أمين . أقول لكم : تتغير السماء والأرض ولا يتغير من توراة موسى حرف واحد ولا يبطل من توراته شىء ومن ينقص من توراة موسى صغيرة أو كبيرة . ناقصاً يسمى فى ملكوت السماء(١) » وحيث أنكر اليهود على السيد المسيح كون بعض أصحابه فرك السنبل يوم السبت وأكل لم يجبهم بأن السبت قد نسخت بل بين أن ذلك لم يمنع منه المضطر إلى الأكل كما لم يمتنع داود حيث اضطر من أن أكل من مائدة الرب التى لا يجوز الأكل منها(٢) . وأنه تمسك بفرائض التوراة إلى آخر وقته وكذا أصحابه بعد رفعه إلا أن فولوس منعهم من ذلك بعد زمان طويل عند احتياجهم إلى مخالطة سائر الأمم ، أو مخالفة الأمم(٣) » ا . ه

كيفية يوم البعث عند النصارى ؟

يقول النصارى فى يوم البعث أنه سوف تكون :

(ا) القيامة الأولى (ب) والموت الثانى .

القيامة الاولى . معناها : أن الأبرار الذين استشهدوا من أجل الإيمان بعيسى عليه السلام ، والذين ماتوا على صلاح وتقوى ، سوف تظهر أرواحهم فى أجسام المؤمنين بعيسى الذين لم يموتوا بعد فى آخر الزمان ليجعلوهم أهل غيرة وقداسة كالشهداء . وفى الوقت الذى تقوى فيه الغيرة وتشتد يبدأ ملك المسيح عيسى مع

---

(١) لأصحاح الخامس من انجيل متى

(٢) الأصحاح الثانى عشر من انجيل متى

(٣) ص ٤٨ تنقيح الأبحاث

شعبه ملكا روحياً على قلوب المؤمنين ، وليس بالمجد والسلطان الظاهرين بل بالمجد والسلطان الروحى وإذا بدأت المملكة الروحية . منهم من يقول بمجئ المسيح فى بدئها ، ومنهم من يقول فى نهاية ألف سنة .

الموت الثانى : وفى الوقت الذى تظهر فيه أرواح الشهداء لتقوية المؤمنين ينفى جميع الأشرار بالنفس والجسد . يقول الدكتور وليم أدى الأميركانى ، فى شرحه لعبارة الإنجيل : « وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة ، هذه هى القيامة الأولى » (رؤيا ٢٠ : ٥) يقول : « القيامة الأولى : روحية لا حقيقية ، ومعناها : أن الشهداء يقومون بالروح لا بالجسد أى أن روحهم يظهر فى كل المؤمنين فيكون كلهم أهل غيرة وقداسة كالشهداء ، ووجود مثل ذلك الروح فى الكنيسة يستحق أن يسمى بالقيامة الأولى ، وهو وصف لحال الكنيسة لا لعملها ، ولا مقابلة للقيامة الأولى بقيامة ثانية ، بل بالموت الثانى[١] » .

تغيير الأجساد يوم البعث عند النصارى

يقول حبيب جرجس عميد الكلية الإكليريكية بمصر . تحت عنوان « القيامة العامة » : « يعلمنا الكتاب المقدس : أن أجساد جميع البشر ستقوم بقدرة الله من التراب فى اليوم الأخير وتعود وتحيا إما للمجد ، وإما للهوان .

وستتغير الأجساد فى ذلك الحين ، إلى أن أجساد روحية عديمة الفساد شبيهة بجسد المسيح[٢] » .

---

[١] ص ١٤١ ج ٥ الكنز الجليل

[٢] ص ١٥٦ — ١٥٧ خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

نصارى الكاثوليك يقولون بالمطهر

وشذ نصارى الكاثوليك عن جميع النصارى الذين يقولون بالحساب والنعيم أو العذاب يوم القيامة. وقالوا: بحساب للإنسان بعد الموت مباشرة بعد خروج الروح مباشرة من جسد الإنسان مثل القول بعذاب القبر عند بعض المسلمين . وذلك العذاب للإنسان الفاسد ، وبنعيم بعد خروج الروح مباشرة من الإنسان مثل القول بنعيم القبر عند بعض المسلمين ، وذلك النعيم للإنسان الصالح . وإذا قامت القيامة يعاد السؤال والعذاب أو النعيم لكن بالروح وليس بالجسد .

يقول الأب يوسف لويس فى كتابه « شرح التعليم المسيحى لطلبة المدارس » « ماذا يحدث للنفس حالا بعد الموت ؟ إن نفسنا حالما نموت تمثل أمام الله لتحاكم على الأعمال الصالحة والشريرة ، وهذه هى الدينونة الخصوصية. وهل تكون الدينونة الخصوصية صارمة ؟ نعم لأن يسوع المسيح قد علمنا أننا سنؤدى فى هذه الدينونة حساباً حتى عن كل كلمة بطالة . إلى أين تذهب النفس بعد الدينونة ؟ إن النفس بعد الدينونة الخاصة تذهب إلى السماء أو إلى جهنم أو إلى المطهر بحسب استحقاقها [١] »

بولس يشبه البعث الروحانى بالشجرة

وعقيدة البعث الروحانى عند النصارى ليست من جواب المسيح عن سؤال [٢] الصدوقيين عن المرأة ذات الأزواج السبعة فقط ـ وهى لا شك موضوعة ـ للناسبين ـ بل أيضاً: مما قرره بولس فى الأصحاح الخامس عشر من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يقول بولس ما نصه: « لكن يقول قائل: كيف يقام الأموات ؟ وبأى جسم يأتون ؟ يا غبى . الذى تزرعه لا يحيا إن لم يمت . والذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سوف يصير ، بل حبة مجردة . ربما من حنطة . أو أحد البواقى . ولكن الله يعطيها جسما كما أراد ، ولكل واحد من البزور جسمه . ليس كل جسد جسداً واحداً ، بل للناس

---

[١] ص ٢١٨ ج ١ شرح التعليم المسيحى لطلبة المدارس
[٢] إنجيل متى — الأصحاح الثانى والعشرون

جسد واحد ، وللبهائم جسد آخر ، وللسمك آخر ؛ وللطير آخر . وأجسام سماوية ، وأجسام أرضية . لكن مجد السمويات شيء ومجد الأرضيات آخر ، مجد الشمس شيء ، ومجد القمر آخر ، ومجد النجوم آخر . لأن نجما يمتاز عن نجم فى المجد . هكذا أيضاً قيامة الأموات . يزرع فى فساد ، ويقام فى عدم فساد ؛ يزرع فى هوان ، ويقام فى مجد . يزرع فى ضعف ، ويقام فى قوة ، يزرع جسما حيوانياً ، ويقام جسما روحانياً يوجد جسم حيوانى ، ويوجد جسم روحانى . هكذا مكتوب أيضاً : صار آدم الإنسان الأول نفساً حية ، وآدم الأخير روحاً محيياً . لكن ليس الروحانى أولا ، بل الحيوانى وبعد ذلك الروحانى . الإنسان الأول من الأرض ترابى ، الإنسان الثانى : الرب من السماء . كما هو الترابى هكذا الترابيون أيضاً . وكما هو السماوى هكذا السماويون أيضاً وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضاً صورة السماوى . فأقول هذا أيها الأخوة : إن لحماً ودما ؛ لا يقدران أن يرثا ملكوت الله . ولا يرث الفساد عدم الفساد » .
(١ كو ١٥ : ٣٥ — ٥٠)

يريد بولوس أن يقول : إن البذرة إذا دفنت فى الأرض ستتحلل لتتحول إلى شجرة والبذرة بهذا المعنى تموت ، ولكنها تقوم بحلة أبهى وأعظم وأغنى وأكمل . وعلى ذلك : ففيه ارتباط بين البذرة والشجرة . فالبذرة أصل الشجرة ، ولكن الشجرة تختلف فى الحجم والمظهر عن البذرة . فالإنسان إذا مات يكون كالبذرة المدفونة فى الأرض . وكما أن البذرة بدفنها تنبت شجرة حية كذلك الموت ينبت حياة جديدة للإنسان . وتكون العلاقة بين حياة الانسان قبل الموت وبعد القيامة ؛ كالعلاقة بين البذرة والشجرة سواء بسواء . وكما أن الشجرة جسد جديد للبذرة ، كذلك فى القيامة يكون جسد جديد للإنسان . وكما أن البذور مختلفة ومتنوعة والأشجار تبعاً للبذور تختلف وتتنوع ، كذلك أجساد الناس ، فنهم القوى ، والضعيف بإيمانه ؛ ومنهم الخير والشرير . هذه الأجساد فى القيامة لا تكون كلها جسداً واحداً . بل لقوى الإيمان جسد ؛ ولضعيف الإيمان جسد ، وللأخيار أجساد ، وللأشرار أجساد . كل على حسب تقواه .

● ● ●

وعقيدة البعث الروحانى : باطلة . لأن المسيح صرح ببعث الروح والجسد فى قوله :

١ — إن أيوب النبى عليه السلام يقول « أعلم أن إلهى حى ، وأنى سأقوم فى اليوم الأخير بجسدى ، وسأرى بعينى الله مخلصى » [أيوب ١٩ : ٢٥]

٢ — وفى قوله : إن أشعياء النبى يقول على لسان الله تعالى : « يجلس خدمى على مائدتى فى بيتى ويتلذذون بابتهاج مع حبور ، ومع صوت الأعواد والأراغن ، ولا أدعهم يحتاجون شيئاً ما . أما أنتم أعدائى فتطرحون خارجا عنى ، حيث تموتون فى الشقاء ، وكل خادم لى يتهكم » (أشعياء ٦٥ : ٣ — ١٥) .

يحكى برنابا عن المسيح عليه السلام : « أصيخوا السمع أشرح لكم كيفية الجنة ؟ وكيف أن الأطهار والمؤمنين يقيمون هناك إلى غير نهاية ، وهذا بركة من أعظم بركات الجنة ، لأن كل شىء مهما كان عظيما إذا كان له نهاية يصير صغيرا ، بل لاشىء .

فالجنة هى البيت الذى يخزن فيه الله مسراته التى هى عظيمة جدا . حتى أن الأرض التى تدوسها أقدام الأطهار والمباركين ثمينة جدا بحيث أن درهما منها أثمن من ألف عالم . ولقد رأى هذه المسرات أبونا داود نبى الله . فإن الله أراه إياها ، إذ يسر له أن يبصر مجد الجنة ، ولذلك لما عاد إلى نفسه غطى عينيه بكلتا يديه ، وقال باكيا : « لا تنظرى فيما بعد إلى هذا العالم يا عينى ، لأن كل شىء فيه باطل وليس فيه شىء جيد » .

ولقد قال عن هذه المسرات أشعياء النبى(١) : « لم تر عينا إنسان ، ولم تسمع أذناه ولم يدرك قلب بشر ، ما أعده الله للذين يحبونه » أتعلمون لماذا لم يروا ولم يسمعوا ولم يدركوا هذه المسرات ؟ لأنهم ما داموا عائشين هنا فى الأسفل فهم

---

[١] الأصحاح الرابع والستون من سفر أشعياء ، الآية الرابعة ، وأنظر أيضا الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ، الأصحاح الثانى ، الآية التاسعة

ليسوا أهلا لمشاهدة مثل هذه الأشياء، ولذلك أخبركم أن أبانا داود على كونه قد رآها حقا، لم يرها بعينين بشريتين . لأن الله أخذ نفسه إليه، وهكذا لما صار متحدا مع الله رآها بنور إلهي . لعمر الله الذي تقف نفسي في حضرته لما كانت مسرات الجنة غير متناهية وكان الإنسان متناهيا . فلا يقدر الإنسان أن يعيها كما أن جرة صغيرة لا تقدر أن تعي البحر .

أنظروا ما أجمل العالم في زمن الصيف حين تحمل كل الأشياء ثمرا ، حتى أن الفلاح نفسه يثمل من الحبور بالحصاد الذي أتى فيجعل الأودية والجبال ترجع غناءه، لأنه يحب أعماله كل الحب ، ألا فارفعوا إذاً قلبكم هكذا إلى الجنة حيث تثمر كل الأشياء ثماراً على قدر الذي حرثها .

لعمر الله إن هذا كاف لمعرفة الجنة من حيث أن الله خلق الجنة بيتا لمسراته ، ألا تظنون أنه يكون للجودة غير المحدودة بالقياس . أشياء غير محدودة في الجودة؟ أو أنه يكون للجمال الذي يقاس أشياء جمالها يفوق القياس ؟ احذروا فإنكم تضلون كثيرا(١) . إذا كنتم تظنون أنها ليست عنده .

يقول الله هكذا للرجل الذي يحبه بإخلاص : « اعرف أعمالك وأنك تعمل لي . لعمري أنا الأبدي : إن حبك لا يزيد على جودي . فإنك تعبدني إلها خالقا إياك عالما أنك صنعي ، ولا تطلب مني شيئا سوى النعمة والرحمة لإخلاصك في عبادتي لأنك لا تضع حدا لعبادتي إذ ترغب أن تعبدني أبدا . هكذا أفعل أنا فإني أجزيك كأنك إله وند لي . لأني لا أضع في يديك خيرات الجنة فقط ، بل أعطيتك نفسي هبة ، وكما أنك تريد أن تكون عبدي دائما . أجعل أجرتك إلى الأبد ؟ » .

قال يسوع لتلاميذه : ما هو ظنكم في الجنة ؟ هل يوجد عقل يدرك مثل ذلك الغنى والمسرات ؟ فعلى الإنسان الذي يريد أن يعرف ما يريد الله : أن يعطي لعبيده أن تكون معرفته عظيمة على قدر معرفة الله .

---

(١) مرقس ١٢ — ٢٤ .

إذا قدم هيرودس (١) هدية لأحد شرفائه الأخصاء . أتدرون بأى طريقة يقدمها ؟ أجاب يوحنا : لقد رأيت ذلك مرتين ، وأؤكد أن عشر ما يعطيه يكون فيه الكفاية لفقير .

قال يسوع : ولكن لو قدم فقير لهيرودس . فماذا يعطيه ؟ أجاب يوحنا : فلسا ، أو فلسين . قال يسوع : فليكن هذا كتابكم الذى تطالعون فيه لأجل معرفة الجنة . لأن كل ما أعطى الله الإنسان فى هذا العالم الحاضر لجسده هو ، كما لو أعطى هيرودس فلسا لفقير . ولكن ما يعطيه الله للجسد ، والنفس فى الفردوس هو كما لو أعطى هيرودس كل ما عنده ، بل حياته لأحد خدمه .

يقول الله لمن يحبه ويعبده بإخلاص هكذا : ياعبدى اذهب وتأمل رمال البحر ما أكثرها فإذا أعطاك البحر حبة رمل واحدة . ألا يظهر لك أن ذلك قليل ؟ بلى . البتة . لعمرى أنا خالقك . أن كل ما أعطيت لكل عظماء وملوك الأرض لأقل من حبة رمل يعطيك إياها البحر فى جنب ما أعطيك إياه فى الجنة .

قال يسوع : تأملوا إذاً خيرات الجنة ، إنه لو أعطى الله للإنسان فى العالم أوقية من سعة العيش ، فسيعطيه فى الجنة ألف ألف حمل . تأملوا مقدار الثمار التى فى هذا العالم ، ومقدار الطعام ، ومقدار الأزهار ، ومقدار الأشياء التى تخدم الإنسان . لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته . كما يزيد رمل البحر على الحبة التى يأخذها منه آخذ يزيد تين الجنة فى جودته ومقداره على نوع التين . الذى تأكله هنا . وقس عليه كل شىء آخر فى الجنة ، ولكن أقول لكم أيضا : أنه كما أن الجبل من الذهب واللآلى هو أثمن من ظل نملة . هكذا تكون مسرات الجنة أعظم قيمة من مسرات العظماء ، والملوك التى كانت ، وستكون لهم حتى دينونة الله . حين ينقضى العالم .

---

(١) هيرودس ملك على بلاد اليهود من قبل دولة الرومان وكان معاصرا للمسيح عيسى عليه السلام .

قال بطرس : أيذهب جسدنا الذى لنا الآن إلى الجنة ؟

أجاب يسوع : احذر يا بطرس من أن تصير صدوقيا. فإن الصدوقيين يقولون: إن الجسد لا يقوم أيضا ، وأنه لا توجد ملائكة . لذلك حرم على جسدهم وروحهم الدخول فى الجنة(١)، وهم محرومون من كل خدمة الملائكة فى هذا العالم. أنسيتم أيوب النبي ، وخليل الله كيف يقول : « أعلم أن إلهى حى ، وإنى سأقوم فى اليوم الآخير بجسدى . وسأرى بعينى الله مخلصى(٢) » .

ولكن صدقونى : أن جسدنا هذا . يتطهر على كيفية لا يكون له معها خاصة واحدة من خصائصه الحاضرة . لأنه سيتطهر من كل شهوة شريرة . وسيعيده الله إلى الحال التى كان عليها آدم قبل أن أخطأ .

رجلان يخدمان سيدا واحدا فى عمل واحد . أحدهما يقتصر على النظر فى العمل وإصدار الأمر ، والثانى يقوم بكل ما يأمره به الأول . أقول أترون من العدل أن يخص السيد بالجزاء من ينظر ويأمر فقط ، ويطرد من بيته من أنهك نفسه فى العمل ؟ لا . البتة .
فكيف يحتمل عدل الله هذا ؟ إن نفس الإنسان وجسده وحسه تخدم الله. فالنفس تنظر وتأمر بالخدمة فقط . لأن النفس لما كانت لا تأكل خبزا فهى لا تصوم ولا تمشى ولا تشعر بالبرد أو الحر ، ولا تمرض ولا تقتل ، لأنها خالدة ، وهى لا تكابد شيئاً من الآلام الجسدية التى لا يكابدها الجسد بفعل العناصر . فأقول هل من العدل إذاً أن تذهب النفس وحدها إلى الجنة دون الجسد الذى أنهك نفسه بهذا المقدار فى خدمة الله ؟

قال بطرس : يا معلم لما كان الجسد هو الذى حمل النفس على الخطيئة فلا ينبغى أن يوضع فى الجنة ؟ أجاب يسوع : كيف يخطىء الجسد بدون النفس ؟ حقا . إن

(١) أعمال الرسل ٢٣ ـ ٨
(٢) أيوب ١٩ : ٢٥ ـ ٢٧

هذا محال . فإذا نزعت رحمة الله من الجسد قضيت على النفس بالجحيم .

لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته إن الله يعد الخاطىء برحمته قائلا : « أقسم بنفسى أن الساعة التى يندب فيها الخاطىء خطيئته هى التى أنسى فيها إثمه إلى الأبد[١]» فأى شىء يأكل إذاً أطعمة الجنة إذا كان الجسد لا يذهب إلى هناك ؟ هل النفس ؟ لا البتة ، لأنها روح .

أجاب بطرس : أيأكل إذاً المباركون فى الفردوس ؟ ولكن كيف يبرز الطعام دون نجاسة ؟ أجاب يسوع : أى بركة ينالها الجسم إذا لم يأكل ولم يشرب؟

من المؤكد أنه من اللائق أن يكون التمجيد بالنسبة إلى الشىء الممجد . ولكنك مخطىء يا بطرس فى ظنك . أن طعاما هكذا يبرز نجاسة . لأن هذا الجسم فى الوقت الحاضر يأكل أطعمة قابلة للفساد ، ولهذا يحصل الفساد . ولكن الجسم يكون فى الجنة غير قابل للفساد ، وغير قابل للألم ، وخالدا وخاليا من كل شقاء . والأطعمة التى لا عيب فيها لا تحدث أدنى فساد .

هكذا يقول الله على لسان أشعياء النبى ساكبا ازدراء على المنبوذين : « يجلس خدمى على مائدتى فى بيتى ويتلذذون بابتهاج مع حبور ، ومع صوت الأعواد والأراغن ، ولا أدعهم يحتاجون شيئاً ما . أما أنتم أعدائى فتطرحون خارجا عنى ، حيث تموتون فى الشقاء ، وكل خادم لى يتهكم »[٢]

قال يسوع لتلاميذه : ماذا يجدى نفعاً قوله : « يتلذذون » ؟ حقا إن الله يتكلم جليا . ولكن ما فائدة الأنهر الأربعة من السائل الثمين فى الجنة ، مع ثمار وافرة جدا ؟ فمن المؤكد أن الله لا يأكل ، والملائكة لا تأكل ، والنفس لا تأكل ، والحس لا يأكل . بل الجسد الذى هو جسمنا . فمجد الجنة هو طعام الجسد ، أما النفس والحس ، فلهما : الله ومحادثة الملائكة ، والأرواح المباركة ،

---

(١) حزقيال ١٨ : ٢١ ــ ٢٢
(٢) أشعياء ٦٥ : ١٣

وأما ذلك المجد فسيوضحه بأحلى بيان رسول الله(١) الذى هو أدرى بالأشياء من كل مخلوق . لأن الله قد خلق كل شىء حبا فيه .

قال برتولماوس : يامعلم . أيكون مجد الجنة لـكل واحد على السواء ؟ فإذا كان على السواء فهو ليس من العدل . وإذا لم يكن على السواء فالأصغر يحسد الأعظم .

أجاب يسوع : لا يكون على السواء لأن الله عادل . وسيكون كل أحد قنوعا . إذ لا حسد هناك . قل لى يا برتولماوس : يوجد سيد عنده كثيرون من الخدمة ، ويلبس جميع خدمه هؤلاء لباسا واحدا . أيحزن إذا الغلمان اللابسون لباس الغلمان لأنه ليس لهم ثياب البالغين ؟ بل بالعكس لو أراد البالغون أن يلبسوهم ثيابهم الكبيرة لتغيظوا لأنه لما لم تكن الأثواب موافقة لحجمهم يزعمون أنهم سخرية . فارفع إذا يا برتولماس قلبك لله فى الجنة . فترى أن الجميع مجدا واحدا ، ومع أنه يكون كثيرا لواحد ، وقليلا للآخر . فهو لا يولد شيئاً من الحسد .

حينئذ قال من يكتب(٢) : يا معلم أللجنة نور من الشمس . كما لهذا العالم ؟ أجاب يسوع : هكذا قال لى الله يا برنابا . لن العالم الذى تسكنون فيه أيها البشر الخطأة : الشمس والقمر والنجوم التى تزينه لفائدتـكم وحبوركم . لأنى لأجل هذا خلقتها . أتحسبون إذا أن البيت الذى يسكن فيه المؤمنون بى لايكون أفضل ؟ حقا إنكم تخطئون فى هذا الحسبان . لأنى أنا إلهكم هو شمس الجنة ، ورسولى(٣) هو القمر الذى يستمد منى كل شىء ، والنجوم أنبيائى الذين قد بشروكم بشىء . فكما أخذ المؤمنون بى كلمتى من أنبيائى . هنا سينالون كذلك مسرة وحبورا بواسطتهم فى جنة مسراتى . . . الخ »(٤)

* * *

(١) يقصد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٢) من يكتب : هو برنابا .
(٣) نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم .
(٤) اقرأ من الأصحاح التاسع والستين بعد المئة من إنجيل برنابا .

وانننظر الآن فى الدليل الذى ذكره المسيح عيسى عليه السلام من سفر أيوب — وهو من أسفار الأنبياء الملحقة بالتوراة — لنرى ترجمته الحالية عند النصارى وقولهم فيه .

فى ترجمة الآباء اليسوعيين (الكاثوليك) فى بيروت سنة ١٩٦٨ نجد النص هكذا : يقول أيوب : « إنى لعالم بأن فادى حى ، وسيقوم آخراً على التراب . وبعد ذلك تُلبس هذه الأعضاء بجلدى ، ومن جسدى أعاين الله . الذى أنا أعاينه بنفسى ، وعيناى تريانه لا غيرى » (أيوب ١٩ : ٢٥ — ٢٧) وواضح أن هذه الترجمة تثبت : بعث الناس فى الحياة الآخرة بالجسد والروح كما نقل برنابا عن عيسى عليه السلام . والترجمة الإنجليزية أيضا كترجمة اليسوعيين تثبت البعث بالجسد والروح .

وفى ترجمة البروتستانت بمصر سنة ١٩٧٠م نجد النص هكذا : « أما أنا فقد علمت أن ولى حى ، والآخر على الأرض يقوم . وبعد أن يُفنى جلدى هذا وبدون جسدى أرى الله . الذى أراه أنا لنفسى وعيناى تنظران وليس آخر » وواضح أن هذه الترجمة تثبت بعث الناس فى الحياة الآخرة بالروح دون الجسد . خلافا لما روى عن عيسى عليه السلام .

ويرد الكاثوليك على البروتستانت وغيرهم الذين ينكرون بعث الجسد فيقولون فى التعليق على قول أيوب عليه السلام ما نصه : « هذا الموضع مشهور جدا لتصريحه بعقيدة القيامة على غير إشكال ولا احتمال التأويل . وإن حاول قوم جهد استطاعتهم أن يحولوا معنى هذه الآيات مع ما فيها من الوضوح فى بيان المراد . إذ أىّ عبارة تكون أجلى وأصرح من قوله : « من جسدى أعاين الله » وقوله : « أنا أعاينه بنفسى وعيناى تريانه لا غيرى » ؟ ! . ﻫ

ويقولون فى التعليق على عبارة أشعياء ونصها عندهم : « لذلك هكذا قال السيد الرب : ها إن عبيدى يأكلون وأنتم تجوعون عبيدى يشربون وأنتم تعطشون . عبيدى يفرحون وأنتم تخزنون . عبيدى يرنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون

من كآبة القلب ، وتولولون من إنكسار الروح ، وتخلفون اسمكم لعنة لمختارى » (أشعياء ٦٥ : ١٣) يقولون : « والخيرات التى يصفها النبى هنا تحت مثل حسية إنما هى خيرات روحية تتمتع بها الكنيسة المجاهدة تمتعا واسعا، ولكنها لا تستوفيها بجملتها إلا فى السماء حيث تتم سعادة الجسد الأبدية تمام سعادة النفس » ا . ه

وفى التوراة — أسفار الأنبياء — نجد الآيات التى تشير إلى جهنم صراحة فى الحياة الآخرة ، واضحة الدلالة على جهنم فى ترجمة الكاثوليك ، وغير واضحة فى ترجمة البروتستانت ، وليس من تعليل لهذا الأمر إلا تعمدهم إخفاء البعث بالجسد والروح معا فى الحياة الآخرة وإظهار البعث بالروح دون الجسد . ففى الزبور نجد نصا فى ترجمة الكاثوليك هكذا : « جعلوا فى الجحيم كالغنم فيرعاهم الموت ، ويسود عليهم المستقيمون فى الغداة ويمحو الجحيم ذكرهم حتى من مسكنهم . الله وحده يفتدى نفسى من يد الجحيم حتى يأخذنى » (مزمور ٤٨ : ١٥ — ١٦) .

وهو نفسه فى ترجمة البروتستانت هكذا : « مثل الغنم للهاوية يساقون . الموت يرعاهم ويسودهم المستقيمون . غداة وصورتهم تبلى . الهاوية مسكن لهم . إنما الله يفدى نفسى من الهاوية لأنه يأخذنى » (مزمور ٤٨ : ١٤ — ١٥)

ويعلق الكاثوليك على هذا النص بقولهم : « لأنه فى يوم الدينونة الأخيرة لابد من إبراز الحقوق كلها » ا . ه .

* * *

وقد ذكرت أدلة كثيرة من التوراة والأناجيل فى تحقيق كتاب : « يقظة أولى الاعتبار فيما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار(١) » للإمام الفقيه صديق حسن خان، فليرجع إليه لمزيد من البيان والإيضاح .

* * *

---

(١) نشر مكتبة عاطف بمصر — بجوار إدارة الأزهر .

وبغض النظر عن الترجمة المختلف فيها فى الأناجيل الأربعة المقدسة تصريح واضح ببعث الروح والجسد . من ذلك ما رواه متى عن المسيح « فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها ، وألقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم . وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم » (متى ٥ : ٢٩ — ٣٠) ولا داعى لتأويل هذا النص إلى معنى روحانى لعدم وجود القرينة. ولتصريح التوراة ببعث الروح والجسد والمسيح ماجاء لينسخ التوراة، ويلغى أحكامها لقوله : « ما جئت لأنقض الناموس ، أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل » — وصحة الترجمة بل لأصحح — (متى ٥ : ١٧)

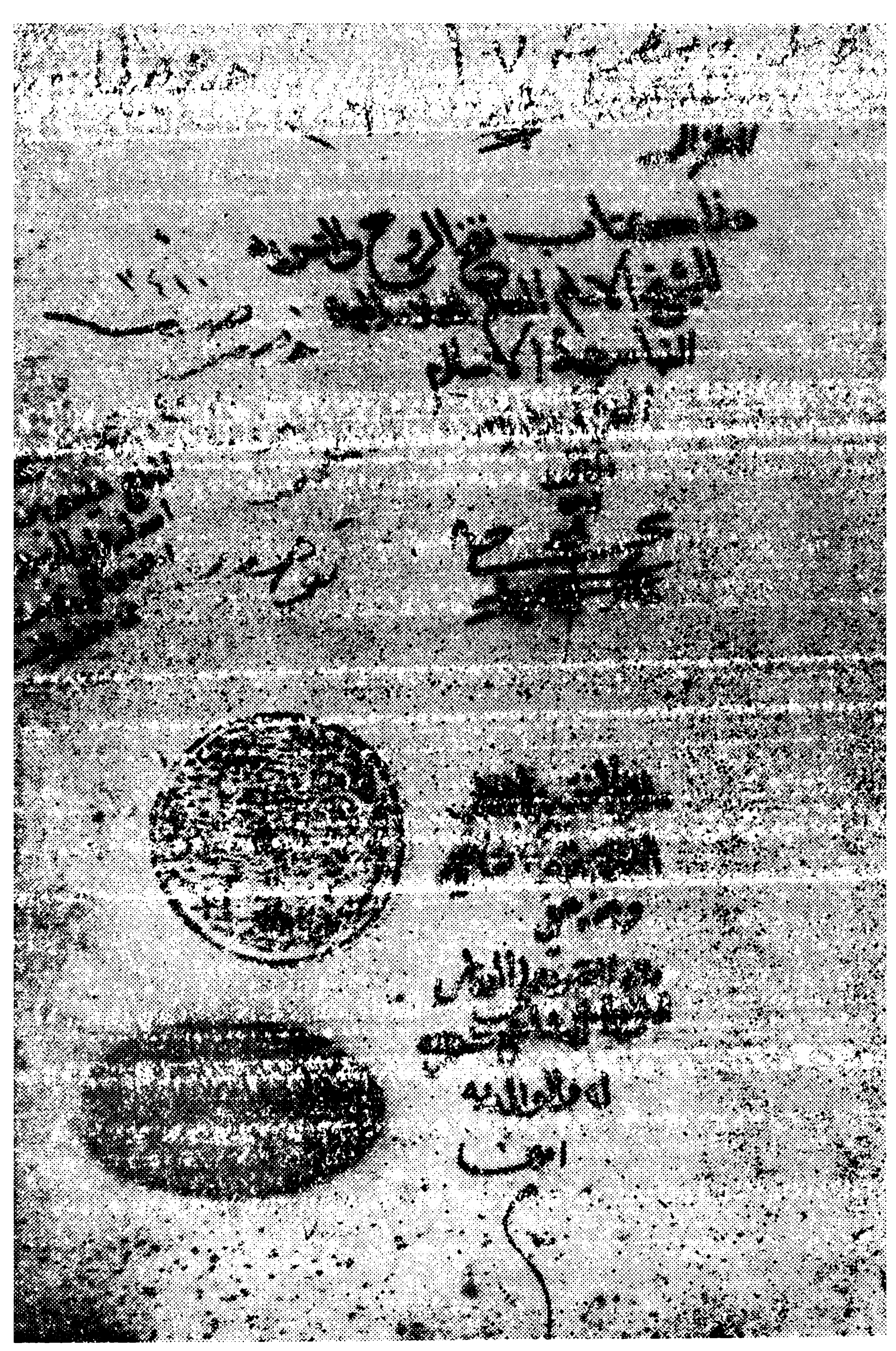
* * *

وإلى هنا نقف . ونسأل الله عز وجل أن ينفع بما قدمنا ، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم . آمين .

« وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »

القاهرة فى ١٨ من رمضان سنة ١٣٩٩ هـ
١١ من أغسطس سنة ١٩٧٩م

الدكتور الشيخ
أحمد حجازى أحمد السقا
الدكتوراه فى موضوع « البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والإنجيل»
من كلية أصول الدين جامعة الأزهر سنة ١٩٧٧



صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

توكلت على الحى الذى لا يموت

سئل الإمام حجة الإسلام عن قوله تعالى : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى(١) » وقيل : ما التسوية ؟ وما النفخ ؟ وما الروح ؟ فقال : التسوية فعل فى المحل القابل للروح ، وهو الطين فى حق آدم والنطفة فى حق أولاده بالتصفية وتعديل المزاج . فإنه كما لا يقبل النار يابس محض كالتراب والحجر . ولا رطب محض كالماء بل تتعلق النار بمركب .

ولا كل مركب . فإن الطين مركب ولا تشتعل فيه النار ، بل لا بد بعد تركيب الطين الكثيف من تردد فى أطوار الخلقة حتى يصير نباتا لطيفا فتتشبث به النار ، وتشتعل فيه . فكذلك الطين بعد أن ينشأه الله خلقاً بعد خلق فى أطوار متعاقبة يصير نباتاً فيأكله الآدمى ، فيصير دما ، فينزع القوة المميزة المركبة فى كل حيوان من الدم صفوه الذى هو أقرب إلى الاعتدال فيصير نطفة فيقبلها الرحم ، ويمتزج به منى المرء(٢) ويزداد به إعتدالا ، ثم ينضجها الرحم بحرارته ، فيزداد تناسبا حتى ينتهى فى الصفاء واستواء نسبة الأجزاء إلى الغاية . فيستعد لقبول الروح وإمساكها . كالفتيلة التى تستعد عند شرب الدهن لقبول النار ، وإمساكها ، فالنطفة عند تمام الاستواء والصفاء تستحق باستعدادها روحا يدبرها ويتصرف فيها فتفيض إليها الروح من جود الجواد الحق ، الواهب لكل مستحق ما يستحقه ،

---

(١) سورة ص من الآية ٧٢ والآيات : [إذ قال ربك للملائكة : إنى خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ، فقعوا له ساجدين • فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين • قال : يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى • أستكبرت أم كنت من العالين ؟ قال : أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين]

(٢) قد تقرأ : المرأة

ولكل مستعد ما يقبله على قدر قبوله واحتماله من غير منع وبخل .

فالتسوية عبارة : عن هذه الأفعال المرددة لأصل النطفة فى الأطوار السالكة لها إلى صفة الاستواء والاعتدال .

وأما النفخ فهو عبارة : عما أشعل نور الروح فى فتيلة النطفة .

وللنفخ صورة ونتيجة . أما صورته : فإخراج الهواء من جوف النافخ ودخوله فى جوف المنفوخ فيه ، حتى يشعل الحطب القابل للنار . والنفخ سبب الاشتعال . وصورة النفخ الذى هو سبب فى حق الله : محال . والمسبب : غير محال . وقد يكنى بالسبب عن الفعل الذى يحصل المسبب على سبيل المجاز . وإن لم يكن الفعل المستعار له على صورة الفعل المستعار منه كقوله تعالى : « غضب الله عليهم(١) » . وكقوله تعالى : « فانتقمنا منهم » (٢) والغضب عبارة عن تغير فى الغضبان يتأذى به . ونتيجته : إهلاك المغضوب عليه وإيلامه . فعبر عن نتيجة الغضب بالغضب ، وعن نتيجة الانتقام . وكذلك عبر عما هو نتيجة النفخ بالنفخ ، وإن لم يكن على صور النفخ .

فقيل له : فما السبب الذى أشعل نور الروح فى فتيلة النطفة ؟

فقال : هو صفة فى الفاعل ، وصفة فى القابل . أما صفة الفاعل فالجود الإلهى الذى هو ينبوع الوجود ، وهو فياض بذاته على كل حقيقة أوجدها . وهو يعبر عن تلك الصفة : بالقدرة . ومثاله : فيضان نور الشمس على كل قابل الاستنارة ، وهى المتلونات دون الهواء ، الذى لا لون له . وأما صفة القابل . فالاستواء والاعتدال الحاصل بالتسوية كما قال : « سويته » ومثال صفة القابل : صقالة الحديد . فإن المرآة التى ستر الصدى وجهها لا تقبل الصورة ، وإن كانت الصورة محاذية له ،

---

(١) الممتحنة ١٣
(٢) الأعراف ١٣٦

وإذا اشتغل المصقل بصقيلها ، فكما حصلت الصقالة حدثت فيها الصورة من ذى الصورة المحاذية لها ، فكذلك إذا حصل الاستواء فى النطفة حدثت فيها الروح من خالق الروح ، من غير تغير فى الخالق ، بإنما حدث الروح الآن لا قبله ، كما أن الصورة فاضت من ذى الصورة على المرآة فى حكم الوهم من غير تغير حدث فى الصورة . ولكن كان لا يحصل من قبل . لا لأن الصورة ليست مهيأة لأن تنطبع فى المرآة ، لكن لأن المرآة لم تكن مصقولة فلم تكن قابلة .

فقيل له : فما الفيض ؟

فقال : لا ينبغى أن يفهم من الفيض مايفهم من فيضان الماء من الإناء على اليد . فإن ذلك عبارة عن انفصال جزء مما فى الإناء واتصاله باليد بلا فهم ماتفهمه من فيضان نور الشمس على الحائط .

ولقد غلط قوم فى نور الشمس أيضاً فظنوا أنه تنفصل شعاعة من جرم الشمس وتتصل بالحائط وتنبسط عليه . وهو خطأ . بل نور الشمس سبب لحدوث شئ يناسبه فى النارية ، وإن كان أضعف منه فى الحائط المتلون ، كفيضان الصورة على المرآة من ذى الصورة ، لا بمعنى انفصال جزء من صورة إنسان واتصاله بالمرآة ، بل على معنى صورة الإنسان مثلا . سبب لحدوث صورة تماثلها فى المرآة القابلة لمحاذاة الصورة ، وليس فيه انفصال واتصال إلا السببية المحددة . وكذلك الجود الإلهى سبب لحدوث أنوار الوجود فى كل ماهية قابلة للوجود ، فتعبر عنه بالفيض .

قيل له : قد ذكرت وبينت التسوية والنفخ . فما الروح ؟ وما حقيقته ؟ وهل هو حال فى البدن حلول الماء فى الإناء ، أو حلول العرض فى الجوهر أم هو جوهر قائم بنفسه ؟ فإن كان جوهرا فتحيزا أم غير متحيز ؟ فإن كان متحيزا . فما مكانه؟ القلب . أم الدماغ . أم موضع آخر ؟ وإن لم يكن متحيزا . فكيف يكون جوهرا غير متحيز ؟

فقال : هذا سؤال عن السر الذى لم يؤذن رسول الله ﷺ فى كشفه لمن ليس

أهلا له . فإن كنت من أهله فاسمع . واعلم : أن الروح ليس بجسم يحل فى البدن حلول الماء فى الإناء ، ولا هو عرض يحل فى القلب والدماغ حلول السواد فى الأسود ، والعلم فى العالم ، بل هو جوهر . وليس بعرض ، لأنه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات . والعرض لا يتصف بهذه الصفات ، ولا هو جسم لأن الجسم قابل القسمة ، والروح لا ينقسم ، لأنه لو انقسم لجاز أن يقوم بجزء منه علم بالشىء ، وبجزء آخر جهل بذلك الشىء الواحد بعينه . فيكون فى حالة واحدة . عالماً بشىء ، جاهلا به ، ولا يتناقض الضدان إلا فى محل واحد .

فالسواد والبياض فى جزءين من العين غير متناقض . والعلم والجهل بشىء واحد فى شخصين غير محال فعلم بأنه واحد لا ينقسم . وهو باتفاق العقلاء جزء لا يتجزء ، أى شىء لا ينقسم إذ لفظة الجزء غير لائق به . لأن الجزء إضافة إلى الكل ، ولا كل ههنا . فلا جزء إلا أن يراد به ما يريد القائل بقوله : الواحد جزء من العشرة . فإذا أخذت جميع الموجودات ، أو جميع ما به قوام الإنسان فى كونه إنساناً ، كان الروح واحداً من جملتها . فإذا فهمت أنه لا ينقسم فلا يخلو إما أن يكون متحيزاً ، أو غير متحيز . وباطل أن يكون متحيزاً . إذ كل متحيز منقسم . والجزء الذى لا يتجزأ بأدلة هندسية وعقلية .

وأقربها أنه لو فرض جوهر بين جوهرين لكان كل واحد من الطرفين يلاقى من الوسط غير مايلاقى الآخر ، فيجوز أن يقوم بالوجه الذى يلقاه هذا الطرف علم . وبالوجه الآخر جهل . فيكون عالما جاهلا فى حالة واحدة . وكيف لا ؟ ولو فرض بسيط من أجزاء لا تتجزأ لكان الوجه الذى يحاذيه أو يراه غير الوجه الآخر الذى لا يراه ، فإن الواحد لا يكون مرئياً وغير مرئى فى حالة واحدة ، ولكان الشمس إذا حاذت أحد وجهيه امتاز بها ذلك الوجه دون الوجه الآخر . فإذن ثبت أنه لا ينقسم ولا يتحيز ، وأنه قائم بنفسه وأنه بغير متحيز أصلا .

قيل له : فما حقيقة هذه الحقيقة ؟ وما صفة هذا الجوهر ؟ وما وجه تعلقه بالبدن ؟ أهو داخل فيه ، أم خارج منه ومتصل به ، أم منفصل عنه ؟

فقال : لا هو داخل فيه ، ولا هو خارج منه ، ولا هو متصل به ، ولا هو منفصل عنه . لأن مصحح الإتصال والإنفصال : الجسمية والتحيز ، وقد ينفى عنه فينفك عن الضدين ، كما أن الجماد لا هو عالم ولا جاهل ، لأن مصحح العلم والجهل : الحياة . فإذا انتفت انتفى الضدان .

قيل . هل هو فى جهة أم لا ؟

فقال هو منزه عن الحلول فى المحال ، والإتصال بالأجسام ، والاختصاص بالجهات . فإن كل ذلك صفات الأجسام وأعراضها ، وهو ليس بجسم ولا عرض فى جسم ، بل هو مقدس عن هذه العوارض .

قيل له . فلم منع الرسول عليه الصلاة والسلام من إفشاء هذا السر ، وكشف حقيقة الروح ؟

قال . لأن الأفهام لا تحتمله : لأن الناس قسمان : عوام وخواص . أما من غلب على طبعه العامية فهو لا يقبله ولا يصدق به فى صفات الله تعالى . فكيف يصدق به فى حق الروح الإنسانى ؟ وهذا أنكرته الكرامية والحنبلية . ومن كانت العامية أغلب عليه أنكر ذلك أصلا ، وجعل الإله جسما . إذ لم يعقل موجوداً إلا مجسما مشاراً إليه . ومن ترقى عن العامية قليلا نفى الجسمية ، وما أطاق أن ينفى عوارض الجسمية فأثبت الجهة ، وترقى عن هذه العامية . الأشعرية ، والمعتزلة . فأثبتوا موجوداً . لا فى جهة(١) .

قيل . لم لا يجوز كشف هذا السر مع هؤلاء (٢) ؟

فقال : لأنهم أحالوا أن تكون هذه الصفة لغير الله تعالى . فإذا ذكرت هذا

---

(١) انظر كتابنا : الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والإسلام . نشر دار النهضة العربية ٣٢ ش عبد الخالق ثروت القاهرة

(٢) المقصود بالروح فى القرآن : الروح القدس ، أنظر فصل أقنوم الروح القدس من كتابنا : أقانيم النصارى — نشر دار الأنصار بمصر — عابدين

معهم كفروك. وقالوا: إنك تصف نفسك بما هى صفة الإله على الخصوص، فكأنك تدعى الإلهية لنفسك.

قيل. لم أحالوا أن هذه الصفة لله، ولغير الله أيضاً؟

فقال. لأنهم قالوا : كما يستحيل فى ذوات المكان أن يجتمع إثنان فى مكان واحد، يستحيل أن يجتمع أيضاً فى مكان إثنان لأنه إنما استحال اجتماع جسمين فى مكان: لأنه لو اجتمعا لم يتميز أحدهما عن الآخر. وكذلك لو وجد إثنان. وكل واحد ليس فى إمكان فيم يحصل التمييز والفرق؟ ولهذا قالوا : لا يجتمع سوادان فى محل واحد، حتى قيل : المكان متضادان؟ فقال : إنهم أخطأوا حيث ظنوا أن التمييز لا يحصل إلا بالمكان، بل يحصل بأمور ثلاثة : أحدها : بالمكان كجسمين فى مكانين. والثانى : بالزمان كسوادين فى جوهر واحد فى زمانين. والثالث : بالحد والحقيقة، كالأعراض المختلفة فى محل واحد من اللون والطعم، والرائحة؛ والبرودة والرطوبة فى جسم واحد. فإن المحل واحد، والزمان واحد ولكن هذه المعانى مختلفة الذوات بحدودها وحقائقها. فيتميز اللون عن الطعم بذاته؛ لا مكان وزمان؛ ويتميز العلم عن الإرادة والقدرة بذاته؛ وإن كان الجميع كشىء واحد. فإذن كما تصور أعراض مختلفة الحقائق بذاتها فى محل واحد؛ فبأن يتصور أشياء مختلفة الحقائق بذواتها فى غير مكان أولى.

قيل: هنا دليل آخر يقتضى إحالة ماذكرتم. لأن هذا يشبه؛ وإثبات لأخص وصف الله تعالى فى حق الروح.

فقال : هيهات؛ فإن قولنا. الإنسان حى عالم سميع بصير قادر متكلم. والله تعالى كذلك ليس فيه تشبيه؛ لأنه ليس ذلك أخص الوصف للإله. وكذلك البراءة عن المكان والجهة ليس أخص وصف الإله؛ بل أخص وصفه أنه قيوم أى قائم بذاته؛ وكل ما سواه قائم به. وأنه موجود بذاته. لا بغيره وكل ما سواه موجود به لا بذاته؛ بل ليس للأشياء من ذاته إلا العدم. وإنما لها الوجود من غيرها على سبيل العارية؛ والوجود لله تعالى ذاتى وليس بمستعار.

فهذه الحقيقة – أى القيومية – ليست إلا لله تعالى .

قيل ما معنى نسبة الروح إليه ولم نسبته إلى نفسه فإن كان لأن وجوده منه . فجميع الأشياء كذلك وقد نسب البشر إلى الطين . فقال : « إنى خالق بشرا من طين » ثم قال : « نفخت فيه من روحى » فإن كان معناه : أنه جزء من الله تعالى فاض على القالب ، كما يفيض المعطى المال على السائل ، فيقول : أفضت عليه من مالى . فهذه تجزئة لذات الله تعالى ؟

فقال : إن هذا الفيض ليس بمعنى الإنفصال ، والإنفصال جزء منه . وهذا كقوله : الشمس لو نطقت وقالت : أفضت على الأرض من نورى فيكون صدقا . ويكون معنى النسبة : أن النور الحاصل من جنس نور الشمس بوجه من الوجوه ، وإن كان فى غاية الضعف بالإضافة إليه ، وقد عرفت : أن الروح منزه عن الجهة والمكان ، وفى قوته العلم بجميع الأشياء والاطلاع عليها . وهذه مضاهاة ومناسبة فلذلك خصص بالإضافة . وهذه المضاهات ليست للجسمانيات أصلا .

قيل : ما معنى قوله عز وجل : « قل الروح من أمر ربى (١) » ؟ وما معنى « عالم الأمر » و « عالم الخلق » ؟

قال : كل ما يقع عليه مساحة وتقدير – وهى الأجسام وعوارضها – يقال : إنه عالم الخلق ، والخلق ليس للآخر ، وهو الإقتران بهذا الزمان الخاص . فليس فى الوجود مثلان أصلا ومطلقا . بل بالإضافة . كقولنا : زيد وعمرو مثلان فى الإنسانية أو الجسمية . والتغاير نوعان : أحدهما بإختلاف النوع والماهية كتغاير الماء والنار ، وتغاير السواد والعلم . والثانى : بالعوارض التى لا يدخلها فى الماهية كتغاير الماء الحار والماء البارد . فإن كان يغاير الأرواح البشرية بالنوع والماهية فمحال لأن الأرواح البشرية متفقة بالحد والحقيقة . ونوع واحد . وإن كانت متغايرة بالعوارض فمحال لأن الحقيقة الواحدة إنما بتغاير عوارضها إذا كانت متعلقة

---

(١) الإسراء ٨٥

بالأجسام منسوبة إليها بنوع ما ، إذ الإختلاف فى أجزاء الجسم ضرورة ولو فى القرب من السماء والإبعاد منه مثلا . فأما إذا لم يكن الروح كذلك كان الإختلاف فيه محالا . وهذا ربما يحتاج بحقيقة إلى مزيد تقدير . ولكن هذا القدر ينبه عليه .

قيل له : فكيف يكون حال الأرواح بعد مفارقة الأجساد ، ولا تعلق لها بالأجسام ولا تفاوت ؟

فقال : لأنها اكتسبت بعد التعلق بالأبدان أوصافا مختلفة فى العلم والجهل والصفاء والكدورة وحسن الخاتمة وقبحها ، فبقيت متغايرة تغايرا كثيرا بسبب هذا الإكتساب المختلف .

(فصل)

ما معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله خلق آدم على صورته(١) » أو « على صورة الرحمن » ؟

فقال : الصورة إسم مشترك قد يطلق على ترتيب الأشكال والأوضاع وإختلاف تركيبها ، وهى الصورة المحسوسة ، وقد يطلق على ترتيب المعانى التى ليست محسوسة . فللمعانى ترتيب أيضا ، وتركيب وتناسب ، ويسمى ذلك صورة . يقال : صورة المسألة كذا ، وصورة الواقعة كذا ، وصورة اليأس والعلوم العقلية كذا والمراد بالصورة فى هذه الصورة : هو الصورة المعنوية ، والإشارة إلى المضاهاة التى ذكرناها ، ويرجع ذلك إلى الذات والصفات والأفعال .

وحقيقة ذات الروح : أنه قائم بنفسه ، وليس بعرض ولا جسم ولا جوهر متحيز ، ولا يحل المكان والجهة ولا هو متصل بالبدن والعالم ولا هو منفصل ،

---

(١) فى التوراة آية نصها : «فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ، ذكرا وأنثى خلقهم وباركهم الله » [تكوين ١ : ٢٧]

ولا هو داخل فى أجسام العالم. والبدن ههنا بمعنى التقدير، لا بمعنى الإيجاد والإحداث. يقال : خلق الشىء أى قدره .

وقال الشاعر :

وبعض القوم يخلق ، ثم يفرى(١) ...

أى يقدر ثم يقطع الأديم ، وما لا كمية له ولا تقدير . يقال : أنه أمور بينية . وتلك المضاهاة التى ذكرناها ، وكل ما هو من هذا الجنس من أرواح البشر وأرواح الملائكة ، يقال : إنه من عالم الأمر . فعالم الأمر عبارة : عن الموجودات الخارجة عن الجنس والخيال والجهة والمكان . وهو لا يدخل تحت المساحة والتقدير ، لانتفاء الكمية عنه .

(فصل)

قيل له : أيتوهم أن الروح غير مخلوق ؟

بمعنى أنه غير مقدر بكمية ، فإنه لا ينقسم ولا يتحيز ، ولكنه مخلوق بمعنى أنه حادث وليس بقديم . وبرهان حدوثه : طويل ، ومقدماته : كثيرة ؛ لكن الحق : أن الأرواح البشرية حدثت عند إستعداد النطفة للقبول كما حدثت الصورة فى المرآة بحدوث الصقل فيها وإن كانت للصورة سابقا فى الوجود :

وإيجاز البرهان : أن الأرواح لو كانت موجودة قبل الأبدان ؛ لكانت هذه إما كثيرة وإما واحدة ؛ وباطل وحدتها وكثرتها . فباطل وجودها . وإنما إستحال وحدتها بعد التعلق بالأبدان لعلمنا ضرورة : بأن ما يعلمه زيد يجوز أن يجهله عمرو ؛ ولو كان الجوهر العاقل منها واحدا لاستحال إجتماع المضدادين فيه؛ كما يستحيل فى زيد وحده .

---

(١) قرأت بيت الشعر هكذا فى بعض الكتب .

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ ... ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ونعنى بالروح والجوهر : العاقل . وكثرتها . محال ؛ لأن الواحد يستحيل أن ينقسم إذا لم يكن ذا مقداره ؛ كالأجسام . والجسم ينقسم لأنه ذو مقدار فله بعض فيتبعض . أما ما لا يتبعض ولا ينقسم ؛ وتقدير كثرة الأرواح قبل التعلق بالأبدان محال ؛ لأنها إما أن كانت مماثلة أو مختلفة . وكل ذلك محال . وإنما لم يستحل التماثل لأن وجود المثلين محال فى الأصل ؛ ولهذا يستحيل وجود سوادين فى محل واحد ؛ لأن الإثنينية تستدعى مغايرة ؛ ولا مغايرة بين المثلين . وسوادان فى محلين جائز ؛ لأن هذا لا يفارق ذلك في المحل . إذ اختص هذا بمحل ؛ لا يختص الآخر به ؛ ولذلك يجوز فى محل واحد فى زمانين إذا كان الوصف ولا هو خارج . وهذا كله صفات ذات الله تعالى . وأما الصفات فقد خلق حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلما . والله تعالى كذلك .

وأما الأفعال . فمعنى فعل الآدمى : أنه أراد ما يظهر أثره أولا فى القلب ، فيسرى منه أثر بواسطة الروح الحيوانى الذى هو بخار لطيف فى تجويف القلب إلى الدماغ ، ثم يسرى منه أثر إلى الأعصاب ، إلى الأوتار والرباطات المتعلقة بالعضل ، فيجذب به الأوتار فيتحرك به الإصبع فيتحرك بالإصبع القلم . وبالقلم : المراد مثلا . وتحدث منه صورة على ما تريد كتابته على وجه القرطاس ، على الوجه المتصور فى خزانة التخيل . فإنه ما لم يتصور فى خياله صورة المكتوب أولا لا يمكن إحداثه على البياض ثانيا .

ومن استقرأ أفعال الله تعالى وكيفية إحداثه النبات والحيوان على الأرض بواسطة تحريك السماوات والكواكب وذلك بطاعة الملائكة له فى تحريك السموات علم أن تصرف الآدمى فى عالمه - أعنى بدنه - يشبه تصرف الخالق فى العالم الأكبر ، وهو مثله . وانكشف له أن نسبة القلب إلى تصرفه ، كنسبة العرش . ونسبة الدماغ كنسبة الكرسى . والحواس له كالملائكة الذين يطيعون طوعا ولا يستطيعون لأمر خلافاً . والأعصاب كالسموات ، والقدرة فى الإصبع كالطبيعة المسخرة فى الأجسام . والمراد كالعناصر التى هى مادة المركبات فى قبول الجمع والتركيب والتفرقة ؛ وخزانة التخيل كاللوح المحفوظ .

فإذا أطلع بالحقيقة على هذه الموازنة عرف معنى قوله . « إن الله خلق آدم على صورته » ومعرفة ترتيب أفعال الله تعالى: معرفة غامضة يحتاج فيها إلى تحصيل علوم كثيرة ؛ وما ذكرناه إشارة إلى جملته .

﴿ فصل ﴾

فقيل . ما معنى قوله عليه الصلاة والسلام . « من عرف نفسه ؛ فقد عرف ربه (١) » ؟

فقال . إن الأشياء تعرف بالأمثلة المناسبة : ولولا المضاهات المذكورة لم يقدر الإنسان على الترقى من معرفة نفسه ؛ إلى معرفة الخالق .

فاعلم . أن الله تعالى جمع فى الآدمى ما هو مثاله ؛ عن جملة العالم ؛ وكأنه رب فى عالمه ؛ متصرف كما عرف العالم له ؛ والتصرف والربوبية والعلم والقدرة والفعل ؛ وسائر الصفات الإلهية ؛ فصارت النفس بمضاهاتها وموازنتها مرقاة إلى معرفة خالق النفس ؛ واستكمال المعرفة بالمسئلة التى قبل هذه يكشف عن وجه هذه المسئلة .

﴿ فصل ﴾

قيل له : إن كانت الأرواح حادثة بعد الأجساد ، فما معنى قوله ﷺ « أنا أول الأنبياء خلقاً ؛ وآخرهم بعثاً (٢) » وقوله « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » ؟ ولم خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بألفى عام (٣) ؟

فقال : شيء من هذا لا يدل على قدم الروح . بل يدل على حدوثه فكونه مخلوقاً ربما دل بظاهره على تقدم وجوده على الجسد ؛ وأمر الظواهر هين فإن

---

(١) هذا قول غير مسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) أول الخلق ، آدم وحواء ، وقوله: أنا أول الأنبياء ... الخ يعنى أن الله قدر وجوده أزلا ، وهذا مروى عن المسيح عيسى عليه السلام فى إنجيل برنابا

(٣) لا دليل على ذلك إلا الأساطير

تأويلها ممكن والبرهان القاطع لا يدرأ بالظواهر ، بل يسلطه على تأويل الظواهر ، كما في ظواهر النفس في حق الله تعالى .

أما قوله « خلق الأرواح قبل الأجساد » أراد بالأرواح : أرواح الملائكة . وبالأجساد أجساد العالم من العرش والكرسي والسموات والكواكب والنار والهواء والماء والأرض ؛ لأن الآدميين بجملتهم صغيرة بالإضافة إلى جرم الأرض . وجرم الأرض أصغر من الشمس بكثير ، ولا نسبة لجرم الشمس إلى فلكه ، ولا فلكه إلى السموات التي فوقه . ثم كل ذلك تسع له الكرسي . إذ « وسع كرسيه السموات والأرض(١) » والكرسي صغير بالإضافة إلى العرش . فإذا نظرت في جميع ذلك استحقرت أجساد الآدميين ؛ ولم تفهمها من مطلق لفظ الأجساد . واعلم أن أرواح البشر بالإضافة إلى أرواح الملائكة كأجسادهم بالإضافة إلى أجساد العالم . ولو فتح لك باب معرفة أرواح الملائكة لكانت الأرواح البشرية كسراج اقتبس من نار عظيمة . فهذه هي الأرواح البشرية ؛ وتلك النار العظيمة من الأرواح الأخر من أرواح الملائكة .

وللأرواح الملائكة ترتيب ؛ وكل واحد منفرد مرتبة ؛ ولا يحتمل في مرتبة واحدة إثنان ؛ بخلاف الأرواح البشرية المتكثرة مع إتحاد النوع . وإليه الإشارة بقوله تعالى « وإنا لنحن الصافون(٢) » وبقوله عليه الصلاة والسلام « الراكع منهم لا يسجد ؛ والقائم لا يركع » فإنه ما من واحد منهم إلا وله مقام معلوم . فلا يفهمن إذن من الأرواح والأجساد المطلقة ؛ أرواح الملائكة وأجساد العالم .

وأما قوله « أنا أول الأنبياء خلقاً ؛ وآخرهم بعثا » فالخلق ههنا هو التقرير دون الإيجاد . فإنه قبل أن ولدته أمه لم يكن مخلوقاً موجوداً . ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير ؛ ولاحقة في الوجود وهو معنى قوله . « أول الفكرة آخر العمل » بيانه : أن المهندس المقدر للدار . أول ما يتمثل صورته في تقديره هي دار كاملة . وآخر ما يوجد من أثر أعماله هي الدار الكاملة . والدار الكاملة أول الأشياء في حقه تقديراً

---

(١) البقرة ٢٥٥　　(٢) الصافات ١٦٥

وآخر الأشياء وجوداً لأن ما قبله من تصرف اللبنات والطين وتركيب الجذوع كلها سبيل إلى الغاية والكمال ، وهى الدار . فالغاية هى الدار ؛ ولأجلها تقديم الآلات والأعمال .

فإذا عرفت هذا . فاعلم أن مقصود فطرة الآدميين إدراكهم سعادة القرب من الحضرة الإلهية . ولم يكن ذلك إلا بتعريف الأنبياء . وكانت النبوة مقصودة بالإيجاد فقصودها وغايتها فى التقدير أولها ، وإنما يكمل بحسب سنة الله تعالى بالتدريج . فتمهد أصل النبوة بآدم ، ولم يزل ينمو ويكمل حتى بلغ الكمال لمحمد ﷺ ، وكان المقصود كمال النبوة وغايتها وتمهيد أوائلها وسيلة إليها . كتأسيس البناء وتمهيد أصول الحيطان فإنه وسيلة إلى كمال صورة الدار ، ولهذا السر كان خاتم النبيين ، فإن الزيادة على الكمال نقصان وأكمل شكل الآلة التى يكون بها الأخذ والقبض لنوع الإنسان : كف عليه خمس أصابع . فكما أن ذا الأصابع الأربعة ناقص . فذو الأصابع الستة ناقص . لأن السادسة زيادة على الكفاية ، فهو نقصان فى الكفاية ، أى فى الحقيقة وإلا لكانت زيادة فى الصورة .

وإليه الإشارة بقوله « مثل النبوة ، مثل دار معمورة . لم يبق فيها إلا موضع لبنة ، فكنت تلك اللبنة[١] » فإن عرفته أن كونه خاتم النبيين صورة ، لا يتصور خلافها ، إذ بلغ الغاية والكمال . والغاية أول ما فى التقدير ، وآخر فى الوجود .

وأما قوله عليه السلام « كنت نبيــاً وآدم بين الماء والطين » فأيضاً إشارة إلى ماذكرناه . وأنه كان نبياً فى التقدير قبل تمام خلقة آدم لأنه لم ينشأ خلق آدم إلا لينتزع الصافى من ذريته ؛ ولا يزال يستصفى تدريجاً إلى أن يبلغ كمال الصفاء ، فيقبل الروح المحمدى .

ولا يفهم هذه الحقيقة إلا بأن يعلم : أن الدار ملء وجودين فى ذهن المهندس ودماغه حتى كأنه ينظر إلى صورة الدار ووجود خارجى فعلى ، فهو وسيلة سابقة ، لا محالة .

واعلم أن الله تعالى يقدر أولا ، ثم يوجد على وفق تقدير ثانياً ، وإنما التقدير

---

[١] أنظر : الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى . والمزمور ١١٨

يرسم أولا فى اللوح المحفوظ كما يرسم تقدير المهندس أولا فى لوح أو فى قرطاس فتصير الدار موجودة بكمال صورتها نوعا من الوجود يكون هو سببا الوجود الحقيقى فكما أن هذه الصورة ترسم فى لوح المهندس بواسطة القلم . والقلم يجرى على وفق العلم ، واللوح عبارة عن موجود قابل للنقش والصورة . والقلم عبارة عن موجود منه يقتضى الصورة على اللوح المنتقش بتلك الصورة وليس من شرطهما أن يكونا جسمين . فإن الجسمية لا تدخل فى حد القلمية ، حقيقته ، بل روح القلمية واللوحية ما ذكرناه والزائد عليه صورته لا معناه ، ولا يبعد أن يكون قلم الله ، والوجه لائقاً بأصبعه ويده وكل ذلك على ما يليق بذاته وإلهيته فيتقدس عن الجسمية . بل جملتها جواهر روحانية عاملة بعضها متعلمة كاللوح وبعضها معلمة كالقلم . فإن الله تعالى يعلم معلم القلم .

فإذا فهمت نوع الوجود فقد كان نبياً قبل آدم بمعنى الوجود الأول التقديرى ، دون الوجود الثانى الحسى العينى(١) .

• • •

﴿ فصل ﴾

قيل له : ما أراد بقوله عليه السلام : « من مات فقد قامت قيامته » ؟

فقال : ليس المعنى به ما هو مراد القيامة المطلقة . بل هى قيامة خاصة ذكرت تفصيلها فى كتاب « الصبر » من « الإحياء(٢) » والقيامة المطلقة ما يعم الكافة . وذلك له ميعاد عند الله يخفى عن الخلق ، وهو سر من الأسرار ، والله أعلم به .

والأوقات وإن كانت متشابهة لكن يجوز فى العقل اختصاص بعض المواقيت

---

(١) إلى هنا تمت الرسالة المسماة بالمضنون الصغير (الأجوبة الغزالية فى المسائل الأخروية) وهى مطبوعة فى كتاب اسمه (القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى) الجزء الثانى مطبعة ومكتبة الجندى بمصر سنة ١٩٧٠ م وتوجد فروق لفظية كثيرة وزيادة ونقصان واختلاف فى ترتيب الكلام بين النسخة الخطية التى ننقل منها هذا وبين النسخة المطبوعة المسماة بالمضنون الصغير عند هذا الحد ومن أول فصل قيل له : ما أراد بقوله عليه السلام « من مات فقد قامت قيامته » ؟ إلى آخر هذا الكتاب لا يوجد فى المضنون الصغير والشيخ محمد مصطفى أبو العلا محقق المضنون الصغير لمكتبة الجندى لم يشر إلى النسخة الخطية التى اعتمد عليها .

(٢) كتاب إحياء علوم الدين الامام أبى حامد الغزالى

ببعض أنواع الوجود . أما على مذهب المتكلمين فيحال ذلك المشيئة . كما يحال أحداث العالم فى بعض الأوقات على المشيئة مع أن الأوقات متشابهة بالإضافة إلى القدرة إلى ذات القديم وأما على مذهب الفلاسفة فلا يلزم إستحالته فإنهم يتفقون أن مبادىء الحدوث حركات الفلك . وأن أدوارها مختلفة فكذلك أحكام القرانات مختلفة وأحوال السفليات . وليس من ضرورة كل دورة أن يفرض عود مثلها فذلك خيال ضعيف على مذهبهم . بل يجوز أن يحدث دور وشكل لم يسبق له نظير ولا يلحقه نظير . وكذلك قد يحدث فى بعض الأدوار حيوانات غريبة الشكل لم يعهد مثلها قط ولا يبعد أن تكون الأدوار متناسبة ، والأشكال الحاصلة من ترتيبها مختلفة .

فإذا فرضنا إلقاء حجر فى الماء يحدث منه فى الماء شكل مستدير . فلو ألقينا مثله عقيبها قبل انقطاع حركة الأولى لم يلزم أن يكون شكل الماء بعد الحركة الثانية كالحركة الأولى . لأن الحركة الأولى صادفت الماء ساكناً . والثانية صادفته متحركا . وكان تشكيلها لمتحركة خلاف مثيلها للساكن فتختلف الأشكال مع تساوى الأسباب لامتزاج أثر السابق باللاحق .

فعلى هذا لا يستحيل أن يكون فى التقدير الأزلى للأدوار دور يخالف الدور المعهود يقتضى نمطا من الوجود والإبداع على خلاف النمط المعهود . ولا يستحيل أن يكون ذلك بديعاً لم يسبق له نظير أن يكون حكمه باقياً لا يلحقه مثل الدور السابق المنسوخ، فيبقى النمط الحاصل من الإبداع مستمراً فى جنسه . وإن كان تتبدل آحاد أحواله فيكون ميعاد القيامة حصول ذلك الشكل الغريب من الأسباب الغالبة ويكون ذلك سبباً كلياً جامعاً لجميع الارواح، فيعم حكمها كافة الأرواح فتكون قيامة عامة مخصوصة بوقت لا تتسع القوة البشرية بمعرفتها - أعنى وقتها - ولا من الأنبياء . فإن الأنبياء أيضاً يكشف على قدر احتمالهم وقبولهم . فإذا لم يكن برهان كلامى ولا فلسفى على استحالته . وجب التصديق به . إذ ورد الشرع به تصريحاً لا يتطرق إليه الإحتمال وقد صرح الشرع به تصريحاً فهم منه على الضرورة . فوجب الإيمان به .

﴿ فصل ﴾

إنكار المنكر لإعادة النفس إلى اللحد فى القبر ، ثم التفريق بينهما ؛ ثم إعادتها

إليه فى القيامة مصيراً إلى ان قوام الأرواح بالأبدان غير معقول . إنكار باطل .

فإن قوام النفس دون البدن ليس بمشكل ، بل المشكل تعلقه . وأنه كيف تعلق به ؛ وهو ليس حالا فيه حلول الأعراض ؛ فإنه ليس بعرض . بل هو جوهر قائم بنفسه يعرف ذاته ويعرف خالقه وصفات خالقه ؛ وهو فى هذه المعرفة لا يحتاج إلى شىء من الحواس . إذ ليس شىء من هذه المعارف محسوساً . والنفس الإنسانى فى حالة علاقة البـــدن قادر على أن يكون غافلا عن المحسوسات كلها ، وعن السماء والأرض وسائر الأجسام . ويكون فى تلك الحالة عارفاً بذاته وبحدوث ذاته ؛ وبافتقاره إلى محدث ذاته ، ولا يشعر بشىء من محسوساته ، فذاته معقولة على هذا الوجه . والتجرد لذكر الله تعالى على الدوام فى بداية طريق التصوف(١) ، يفضى بالتصوف إلى هذه الحالة ؛ حتى أنه يعرف عن ذهنه كل ما سوى الله تعالى فيعرف عنه أيضاً نفسه ؛ ولا يشعر بشىء من المحسوسات . بل المعقولات كلها سوى الحق تعالى . ولا يشعر بنفسه ، بل يكون شاعراً بالحق فقط . لأن الشعور مثلا بالشعور بالحق غفلة عن الحق . فالمعنى المتجرد لمعرفة الحق كيف يحتاج إلى بدن وقالب ؟ وكيف لا يستغنى بذاته عن الجسد ؛ الذى هو مركب الحواس ؛ ولا يرد إلا المحسوسات ، ثم من عقل حقيقة النفس ؛ وعلم قوامه بذاته لم يشكل عليه إنفصاله عن الجسد . وإنما الإشكال إتصاله به إلى أن يعرف أنه لا معنى له سوى تأثير الجسد وتصرفه بحسب تصريفه ؛ وتحركه بتحريكه كما يحرك الأصبع بتحريك الإرادة مع قطعه بأن الإرادة ليست فى الأصبع مسخرة لما ليس فيها .

فالنفس . وإن لم تكن فى الجسد ؛ فالجسد مسخر لها . فبهذا التسخير يجوز أن يحدث ويزول ويعود ولا يستحيل فى العقل . ويكون لعوده وزواله أسباب ملكية وفلكية ونفسية لا تحيط بها القوة البشرية . فعلى هذا الوجه يجب التصديق بما جاء فيه من التصديق والتفريق والإعادة .

---

(١) إن الدين عند الله الإسلام ، وليس الدين عند الله التصوف ، وكان كل نبى يفخر بالإنتساب إلى الإسلام ، لا للتصوف وقد جاء فى القرآن الكريم « وأمرت أن أكون من المسلمين » ومن صفا قلبه عن ما يغضب الله لا يسمى صوفيا ، بل يسمى مسلما حسن الإسلام ، أو مؤمناً جيد الإيمان .

﴿ فصل ﴾

الإيمان بالميزان(١) واجب . لأنه إذا ثبت قوام النفس بجوهرها واستغنائها عن الجسد ، فهى بذاتها مهيأة لأن ينكشف لها حقائق الأمور وتعلقها بالجسد بالحجاب لها عن الدرك بحقائق الأمور ؛ وبعد الموت ينكشف الغطاء ؛ وتتجلى حقائق الأمور ولذلك قال الله تعالى : « فكشفنا عنك غطاءك . فبصرك اليوم حديد(٢) » ، ومما ينكشف : تأثير أعماله فى تقريبه من الله تعالى أو إبعاده عنه . ومقادير تلك الآثار وإن كان بعضها أشد تأثيراً من البعض وفى قدرة الله تعالى أن يجرى سبباً يعرف الخلق فى لحظة واحدة مقادير الأعمال . بالإضافة إلى تأثيراتها فى التقريب والإبعاد . فحد الميزان : ما تتميز به الزيادة عن النقصان . ومثاله عن العالم المحسوس مختلف ، فنه : الميزان المعروف، والقبان ، والاصطرلاب لحركات الفلك والأوقات ، والمسطر لمقادير الخطوط ، والعروض لمقادير حركات الأصوات . والميزان الحقيقى إذ مثله الله تعالى للحواس ، مثله بما سامق هذه الأمثلة أو غيرها للخلق ، وحقيقة الميزان وحدُّه : موجود فى جميع ذلك وهو ما يعرف الزيادة والنقصان ، وصورته يكون موجوداً للحس عند التشكيل والخيال .

وللخيال عند التمثيل — والله أعلم — بما يقدر به من تشكيل حقيقى .

﴿ فصل ﴾

الحساب . يجب التصديق به ، لأن الحساب عبارة عن جمع متفرقات المقادير ، وتعريف مبلغها وما من إنسان إلا وله أعمال متفرقة نافعة وضارة ومقربة ومبعدة لا يعرف مدركها . وقد لا يحضره آحاد متفرقاتها فإذا أحضرت المتفرقات وجمع مبلغها كان حسابا . وإن كان فى قدرة الله تعالى : أن يكشف فى لحظة واحدة للعالمين متفرقات أعمالهم ومبالغ آثارها فهو أسرع الحاسبين قطعاً . ومعلوم أن فى قدرته ذلك . فهو أسرع الحاسبين .

---

(١) سورة قاف ٢٢

(٢) الميزان كناية عن الحق والعدل عند المعتزلة

﴿ فصل ﴾

الإيمان بالشفاعة(١) واجب . لأنها عبارة عن نور يشرق من الحضرة الإلهية على جوهر النبوة ، وينتشر منها إلى كل جوهر استحكمت مناسبتها مع جوهر النبوة بشدة المحبة وكثرة المواظبة على السنن وكثرة الذكر له بالصلاة عليه . ومثاله : نور الشمس إذا وقع على الماء فإنه ينعكس منه إلى موضع مخصوص من الحائط ، لا إلى جميع المواضع ، فتلك المناسبة منفية عن أجزاء الحائط . وذلك هو الموضع الذى خرج منه خط إلى موضع النور من الماء حصلت منه زاوية .

بلى الأرض مساوية للزاوية الحاصلة من الخط الخارج من الماء إلى قرص الشمس ، بحدث لا يكون أوسع منها ولا يضيق . وهذا لا يمكن إلا فى موضع مخصوص فى الجدار . وكما أن المناسبات الوضيعة تقتضى الإختصاص بانعكاس النور ، والمناسبات المعنوية العقلية أيضاً مقتضى ذلك فى الظواهر لمعنوية . ومن استولى عليه التوحيد وقد تأكدت مناسبته مع الحضرة الإلهية ، ويشرق على النور من غير واسطة ، ومن استولى عليه السنن والاقتداء بالرسول ﷺ ، ومحبة أتباعه ولم تترسخ قدمه فى ملاحظة الوحدانية لم يستحكم مناسبته إلا مع الواسطة ، فافتقر إلى الواسطة فى اقتباس النور ، كما يفتقر الحائط الذى ليس مكشوفاً للشمس إلى واسطة الماء المكشوف للشمس ، وإلى مثل هذا ترجع حقيقة الشفاعة فى الدنيا .

فالوزير الممكن فى قلب الملك المخصوص بالعناية يعفو لحرمته عن أصحابه الخطأ والزلة ولا مناسبة بين الملك وأصحاب الوزير ، لكن بأنهم يناسبون الوزير المناسب للملك ، ففاضت العناية عليهم بواسطة الوزير لا بأنفسهم . ولو ارتفعت الواسطة لشملتهم العناية أصلا لأن الملك لا يعد أصحاب الوزير اختصاص بهم به إلا بتعريف الوزير وإظهار الرغبة فى العفو عنهم . فسمى لفظة الوزير فى التعريف وإظهار الرغبة : شفاعة على سبيل المجاز . وإنما الشفيع مكنته عند الملك . وإنما اللفظ لإظهار

---

(١) المعتزلة يثبتون الشفاعة فى زيادة الدرجات فقط [أنظر العقيدة النظامية للجوينى — نشر الكليات الأزهرية بمصر]

الغرض. والله تعالى مستغنياً عن التعريف . فلو عرف الملك حقيقة اختصاص غلام الوزير به . لا يستغنى عن اللفظ وحصل الغرض شفاعة لا نطاق فيها ولا كلام . والله تعالى عالم به . فلو أذن الأنبياء عليهم السلام فى التحفظ بما هو معلوم لله تعالى لـكانت ألفاظهم ألفاظ الشفاعة . وإذا أراد الله تعالى أن يمثل حقيقة الشفاعة بمثال يدخل فى الحس والخيال . لم يكن ذلك التمثيل إلا بالألفاظ المألوفة فى الشفاعة . ويدلك على إنعكاس النور بطريق المناسبة : أن جميع ما ورد فى الأخبار عن استحقاق الشفاعة متعلق بما يتعلق باحترام رسول الله ﷺ من الصلاة عليه . أو زيارة القبر المقدس(١) أو جواب المؤذن والدعاء له عقيبه . وغير ذلك مما يحكم علاقة المحبة والمناسبة .

﴿ فصل ﴾

الصراط(٢) حق . وما يقال : إنه مثل الشعر فى الدقة فهو ظالم فى وصفه . بل أدق من الشعر . بل لا مناسبة بينه وبين الشعر . كما لا مناسبة فى الدقة بين الخط الهندسى الفاصل بين الشمس والظل الذى ليس من الظل . ولا من الشمس وبين الشعر ودقه الصراط مثل دقة الخط الهندسى الذى لا عرض له أصلا . إلا أنه على مثل الصراط المستقيم . وهو فى المرور مثل الخط الهندسى . والصراط المستقيم : عبارة عن الوسط الحقيقى بين الأخلاق المتضادة . كالسخاوة بين التبذير والبخل . والشجاعة بن التهور والجبن والتواضع بين التكبر والتسلسل . والعفة بين الشهوة والخمود . إلا هذه الأخلاق المتضادة لها أطراف إفراط وتفريط . هما مذمومان . وبين الإفراط والتفريط وسط هو غاية البعد من الطرفين . فهو المقصد لأنه ليس من طرف الزيادة ولا من طرف النقصان كالخط الفاصل بين الظل والشمس .

وهذا التحقيق . وهو أن كل الآدمى فى مشابهة الملائكة . وهم منفكون عن هذه الأوصاف المتضادة . وليس فى إمكان الإنسان الانفكاك بالكلية . فكاف

---

(١) زيارة القبر المقدس ليست محل إجماع

(٢) الصراط عند المعتزلة هو الطريق المستقيم

ما يشبه الإنفكاك، وإن لم يكن حقيقة الإنفكاك وهو الوسط ، فإن الفاترة كأنه لا حار ولا بارد . والعودى كأنه لا أبيض ولا أسود . والبخل والتبذير من صفات الإنسان . فالمقتصد السخى ، كأنه لا بخيل ولا مبذر .

فالصراط المستقيم : هو الوسط الحق بين الطرفين الذى لا ميل له ، إلى أحد الجانبين ، وهو أرق من الشعر ، فالذى يطلب غاية البعد من الطرفين . يكون على الوسط . ولو فرضنا حلقة جديدة محماة بالنار ، ووقفت نملة فيها ، وهى مهزومة بطبعها عن الحرارة فلا يمكن إلا على المركز ، لأنه الوسط الذى هو غاية البعد من المحيط المحرق . وتلك النقطة لاعرض لها . فإذن الصراط المستقيم هو الوسط بين الطرفين ، ولا عرض له ، فهو أرق من الشعر ولذلك ليس فى القوة البشرية والوقوف عليه ، فوجب على كل شخص أن يكون وارداً على النار ، وروداً بما يقدر

مثله ، كما قال سبحانه وتعالى : « وإن منكم إلا واردها »(١) ولذلك قال تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم . فلا تميلوا كل الميل »(٢) فإن العدل بين الطرفين فى المحبة والوقوف على الدرجة : متوسط لا ميل فيه إلى

أحدهما . كيف يدخل ذلك تحت الإمكان ؟(٣)

فإذا فهمت هذا ، ففهم مثل الله تعالى لعبادة فى القيمة : هذا الصراط المستقيم الذى كل امرىء بالاستقامة عليه بمثل ما هو مثل الخط الهندسى الذى لا عرض له ، فمن إستقام على ذلك الصراط المستقيم ، ولم يمل إلى أحد الجانبين . لأنه فى هذا العالم يعود التحفظ عن الميل ، فصار ذلك وصفا طبيعيا له . فإن العادة طبيعة خامسة . مر على الصراط المستقيم مستويا ، فهذا حق قطعا ، كما ورد به الشرع .

---

(١) مريم ٧١

(٢) النساء ١٢٩

(٣) يريد العدل فى النفقة ، لا فى الحب

(فصل)

ما سألت من البرهان على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فالقول فيه طويل عند من لا يعرفه ، ووجيز عند العارف ، فإنك إذا عرفت أنك حادث ، وأن الحادث لا يستغنى عن المحدث فقد حصل لك البرهان عن الإيمان بالله .

وما أقرب إلى العقل هاتان المقدمتان ، أعنى أنك حادث ، وأن الحادث لا يحدث بنفسه ، وإذا عرفت نفسك فعرفت أنك جوهر خاصيتك معرفة الله ، ومعرفة ما ليس بمحسوس ، وليس بالبدن قوام ذاتك ، فانهدام البدن لا يعدمك . فقد عرفت اليوم الآخر بالبرهان ، وأنه لا معنى له إلا أن لك يومين : يوم حاضر أنت فيه مشغول بهذا الجسد ، ويوم آخر أنت فيه مفارق بهذا الجسد ، وإن لم يكن قوامك بالجسد ، وقد فارقته بالموت فقد حصل اليوم الآخر .

فإذا عرفت أنك فارقت المحسوسات بمفارقة الجسد ، تعرف إما منعما بمعرفة الله تعالى التى هى غاية ذاتك ومنتهى لذتك ، بمقتضى طبعك الأصلى لو لم تمرض بالميل إلى الشهوات ، أو معذب بالحجاب عن الله تعالى الذى هو منتهى شهوتك من حيث الطبع الأصلى محولا بينك وبين ما تشتهيه . وعرفت أن سبب المعرفة : الذكر والفكر والإعراض عن غير الله تعالى . وسبب المن : الإعراض المانع عن معرفة الله تعالى ، والإقبال على الشهوات ، والحرص على الدنيا . وعرفت أن الله قادر على أن يعرف عموم عباده ذلك بواسطة الكشف كما عرف لبعض خواص عباده بالإلهام .

وإذا عرفت أنه قد فعل ذلك ، فقد عرفت رسله بالبرهان ، وآمنت . وإذا عرفت أن هذه التعريفات للأنبياء عليهم السلام ، إنما يكون فى الكسوة للألفاظ عبارات يوحى إليهم ، ويلقى فى سمعهم إما فى يقظة أو فى منام ، فقد آمنت بالكتب وإذا عرفت أن أفعال الله تعالى بتقسيمه إلى ما فعله بغير واسطة ، وإلى ما فعله بواسطة ، وأن وسائطه مختلفة المراتب ، فالوسائط القريبة هم المقربون ، ويعبر عنهم

بالملائكة ، فيحصل لك معرفة هذا بطريق البرهان ، والقول فيه طويل . فصدق الرسل القول فى إخبارهم عنهم .

وبعد أن عرفت صدق الرسل بالبرهان ، واكتف بذلك فإنه درجة من درجات الإيمان . و « يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات »[١]

(فصـــل)

اللذات المحسوسة الموعودة فى الجنة من مأكول ومشروب وملبوس ، يجب التصديق بها ، ولنعتقد إمكانها على ثلاثة أوجه : حسى ، وخيالى ، وعقلى .

أما الحسى فلا يخفى معناه . وإمكانها كإمكانه فى هذا العالم . فإنه بعد رد الروح إلى الجسد ، وقيام البرهان على إمكانه بجميع ذلك فى حيز الإمكان ، ولا يمنع من هذا : أن بعض هـذه اللذات ليست مستعظمة ولا مرغوبة فيها رغبة بالغة كاللبن ، والإستبرق ، والطلح المنضود . فإن هذا قد خوطب جماعة تمد حاجاتهم ورغبتهم فيها . وفى الجنة ما يشتهيه كل واحد مما يشتهيه قوم شهوة جديدة . والذى لا يشتهون ولا يستلذون معظم لديهم بخلق الشهوة فيهم . فإن اللذة يحبون الشهوة ، فليس الوقاع فيما يحب صورته اللذة ، بل النفرة . لولا صدق الشهوة . والله تعالى خلق الشهوة واللذات بحسب الشهوة . والناس كلهم إلا من شاء لا تصدق بواطنهم بلذة النظر إلى وجه الله تعالى ، وإن أقدروا به ظاهراً ، لأنهم إذا انفكوا عن شهوة الشوق ، وانفكوا عن إدراك اللذة . ولكن الله يقوى شوقهم المعرفة انفكوا عن محبتهم ومعرفتهم حتى تعظم لذة الرؤية عندهم فى دار الآخرة .

وأما الخيالى فلا يخفى إمكانه ولذته كما فى النوم ، مستحقر لانقطاعه على قرب . ولو كانت دائمة لم يظهر فرق بين الخيالى والحسى ، لأن التذاذ الإنسان بالصور : من حيث انقطاعها فى الخيالى والحسى ، لا من حيث وجودها من خارج ، ولم

---

[١] المجادلة ١١

يوجد فى حبه بالانطباع فلا لذة ، ولا نى المنطبع فى الحس وعدم الخارج لدامت اللذة . والقوة المتخيلة قدرته على اختراع الصور فى هذا العالم ، إلا أن صورها المخترعة متخيلة ، وليست بمحسوسة ، ولا منطبعة فى القوة الباصرة ، فلذلك ولو اخترع صورة جميلة فى غاية الجمال وتوهم حضورها ، ومشاهدتها لم تعظم لذته ، لأنه ليس يصير مبصراً كما فى النوم ، فلو كانت له قوة على تصورها فى القوة الباصرة كما له قوة على تقريرها فى القوة المتخيلة لعظمت لذته ، ونزل منزلة الصورة الموجودة من خارج ، وأن يفارق الدنيا للآخرة فى هذا المعنى ، لا من حيث كمال القدرة على تصوير الصورة فى القوة الباصرة قبل ما تشهيه محضر عنده فى الحال ، فتكون شهوته كلية . وتخليه سبب البصارة ، أى سبب انطباعه فى القوة الباصرة ، فلا يخطر بباله شىء يميل إليه ، إلا ويوجد فى الخيال ، أى يوجد حيث يراه . وإليه الإشارة بقوله عليه السلام : « إن فى الجنة سوقاً فيه الصور » والسوق عبارة عن : اللطف الإلهى الذى هو منبع القدرة ، أوسع وأكمل من القدرة على الإيجاد خارج الحس ، لأن الموجود خارج الحس لا يوجد مثاله فى مكانين ، وإذا صار مشغولا باستماع واحد ، وبمشاهدة ومماسة صار مستغرقاً به محجوباً عن غيره .

وأما هنا فيتسع إتساعاً ، لا ضيق فيه ، ولا منع ، حتى لو اشتهى مشاهدة الشىء مثلا ألف شخص فى ألف مكان فى حالة واحدة لشاهدوه كما خطر ببالهم فى أماكنهم المختلفة . ولما الإبصار الحاصل عن شخص الشىء الموجود من خارج الحس لا يكون إلا فى مكان واحد ، وحمل الأبد فى الآخرة على ما هو أوسع وأوفى بالشهوات وأوفق لها وأولى ، ولا ينقص عن زينتها فى الوجود اختصاص وجودها بالحس ، وابتغاء وجودها من خارج ، فإن وجودها مراد لأجله ، وحظه من وجوده فى حسه . فإذا وجد فقد يوفر حظه ، والباقى وصل لا حاجة إليه ، لأنه طريق إلى مقصود . وقد تبين كونه طريقاً فى هذا العالم العينى القاصر الضيق . أما فى ذلك العالم فيتسع الطريق ولا يتغير هذا الطريق .

وأما الوجه الثالث فى إمكانه ، وهو الوجود العقلى : أن تكون هذه المحسوسات أمثلة اللذات عقلية ليست محسوسة ، لكن العقليات تنقسم إلى أنواع كثيرة مختلفة

الملذات . كالحسيات . فيكون من الحسيات أمثلة لها ، وكل واحد يكون مثالا للذات أخرى ، فما رتبته فى العقليات توازى رتبة المثال فى الحسيات .

فإنه لو رأى فى المنام : الخضرة ، والماء الجارى ، والوجه الحسن ، والأنهار المفرطة المطردة باللبن والعسل والخمر ، والأشجار المثمرة المزينة بالجوهر والياقوت واللآلىء ، والقصور المبنية من الذهب والفضة ، والأسورة المرصعة بالجوهر ، والغلمان الماثلة بين يديه للخدمة . كان المعبر يعبر ذلك على السرور ولا يحمله على نوع واحد من السرور وقرة العين ، ويرجع بعضه إلى مشاهدة الأصدقاء . وهى وإن شملها إسم اللذة والسرور ، فهى مختلفة المراتب مختلفة الذوق ، ولكل واحد مذاق يفارق الآخر ، وكذلك اللذات العقلية ينبغى كذلك أن تفهم وإن كانت مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فجميع هذه الأقسام ممكنة . فيجوز أن يجمع بين الكل لواحد ، ويجوز أن يكون كل واحد بقدر استعداده بالمسرور ، والمشغوف بالتقليد والجمود على التصور والذى لم تنفتح له طريق الحقائق بمثل هذه الصور ، والعارفون المتبصرون بعالم الصور واللذات المحسوسة يفتح لهم من لطائف السرور واللذات العقلية ما يليق بهم ، وسعى شربهم وشهوتهم إذ دخل الجنة أن فيها لكل امرىء ما يشتهيه . فإذا اختلفت الشهوات لم تبعد أن تختلف العطيات . واللذات والقدرات واسعة ، والقوة البشرية عن الإحاطة بعجائب القدرة قاصرة ، والرحمة الإلهية ألقت بواسطة النبوة إلى كافة الخلق : القدر الذى احتملته أفهامهم ، فيجب التصديق بما فهموه والإقرار بما وراء منتهى الفهم من أمور تليق بالكرم الإلهى ، فلا يدرك فهم البشرى ذلك إلا « فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » (١) .

(فصل)

لعلك تقول : هذه اللذات الحسية والخيالية التى وعدت فى الجنة لا تدرك ، إلا بالقوة الحساسة والمتخيلة وهذه القوى الجسمانية لا تصور لها إلا فى الجسم .

---

(١) آخر سورة القمر .

وكذلك عذاب القبر لاعذاب جهنم لا يدرك إلا بقوى جسمانية . وإذا فارقت الروح الجسد ، ارتحلت للآخرة ، أو اضمحلت القوى الحسية والخيالية . فكيف يتمثل لمانع الزكاة : شجاع أقرع؟ وكيف يسلط على الكافر فى القبر : تنين ، له تسع وتسعون رأساً ، كما ورد فى الخبر ؟ وهذه الصورة إما خيالية أو حسية . وقد بطل بالموت ، فكيف سبيل إثباتها ؟

فاعلم أن هذا يستنكره من يبطل حشر الأجساد ، بتخيل رد للنفس إلى الجسد وليس يقوم بمكان استحالته برهان حقيق ، بل لا يبعد أن يوضع الأجسام لتخيل النفس وإحساسها بعد الموت ، لا فى القبر ، ولا فى القيامة . وكل ما ذكر للأوائل فى الدلالة على إحالة ليس ببرهان محقق .

والشرع قد ورد به فيجب تصديقه . ودليله : أنه ليس مبرهناً عند الفلاسفة . ذلك أن أفضل متأخرى الفلاسفة : « أبا على بن سينا » قد أثبت ذلك فى كتاب « الشفاء والنجاة » وقال : لا يبعد أن تكون بعض الأجسام السماوية موضوعة لتخيل النفس بعد الموت ، وحكى ذلك عمن عظمت رتبته ، إذ قال : « وقد قال من لا يجازف — فرق من العلماء — : أن ذلك غير ممتنع » وهذه الصفة تدل على أنه شاك فى هذا الأصل ، ولم يتم عنده برهان عليه . ولو كان محالا لما وصف قائله : بأنه « لا يجازف » بل أى مجازفة يزيد على القول بالمحال ؟

وربما يقول قائل : إنما ذكر على سبيل المخادعة : وإلا فقد ذكر فى مسألة التناسخ : من كتاب « النفس » استحالة : تناسخ الأبدان لنفس واحدة . وذلك يغنيه دليل لإبطال الحشر الأجساد . فنقول : ما ذكره فى استحالة التناسخ ليس ببرهان محقق . فإنه قال : « لو عاود النفس جسد لما عاود إلا جسداً مستعداً لقبول تصرفه . وكل جسد استعد القبول فاضت إليه نفس من واهب الصور : فيؤدى إلى أن تفيض إليه نفس : وتتعلق به النفس المستحسنة . فيجتمع نفسان لبدن واحد : وهو محال » .

وهذا الذى ذكره يبكن حشر الأجساد . لكنه دليل ضعيف . إذ قال :

« يجوز أن يختلف الاستعداد فيكون الجسد من الاستعداد : المفارقة الموجودة من قبل ، حتى يختص بتدبيرها . فلا يحتاج إلى إفاضة نفس جديدة . فإنه لو استعدت فى الأرحام نطفتان لقبول النفس فى حالة واحدة ، فاضت إليهما نفسان من واهب الصور ، واختص بكل واحد منهما نفس ، وليس باختصاصه بالحلول فيه . فإن النفس لا يحل الجسد ، حلول الأعراض ، لكن اختصاص النفس بأحد الجسدين المستعدين بمناسبة بينهما بالأوصاف اقتضى خصوص تلك الأوصاف فى أحد المستعدين، إختصاص أحد النفسين دون الآخر . فإن أجاز هذا التخصيص فى المستعد خصه من النفوس المفارقة للمناسبة له . لم يفتقر إلى نفس جديدة تفيض إليه من واهب الصور . فلا يقتضى » . وبتقدير هذا الكلام أصل . لست أخوض فيه . ولأنما المقصود : بيان أن من أنكر حشر الأجساد لا برهان معه . وإذا لم يكن عليه برهان . عقلت الإدراك الحسية والخيالية بعد الموت فى القبر وفى القيامة .

فإن قال قائل : نحن نراه فى القبر . لا حياة ولا إدراك به .

قلنا : وقد نرى صاحب السكتة كذلك . والإدراك يجوز بحس وصفية . لكاد لا يتجزى ولو من باطن الميت . والاعتماد فيه على عدم الشهادة بحركته .

(فصل)

ورد الخبر . بأن « حسنات الظالم تنقل إلى ديوان المظلوم فى القيامة . وسيئات المظلوم تنقل إلى ديوان الظالم » وربما يقول — من لا يفهم أسرار النبوة — : إن هذا محال . لأن الحسنات والسيئات عبارة عن أعمال وحركات . وأنها قد انقضت وانعدمت . وكيف ينقل العرض ؟ .

أنا أقول : الحسنات والسيئات بسبب الظلم واقع فى الدنيا . وقت جريان الظلم ، لكن ينكشف فى القيامة . فيرى طاعة نفسه فى ديوان غيره . كما قال الله تعالى : « لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار (١) » وأخر ذلك فى الآخرة . وهو

---

(١) غافر ١٦ .

كذلك فى الدنيا . ولم يتجدد ذلك فى الآخرة . لكن لا يظهر حقيقة لكافة الخلق إلا فى القيامة . وما لا يعلم الإنسان ليس موجوداً له . وإن كان موجوداً فى نفسه فإذا علمه صار موجوداً له . وكأنه وجد الآن فى حقه بعد بعيد تجرده فى تلك الحالة كما يتوهم تجدد الوجود .

وقد سقط بهذا قول من قال : المعدوم كيف ينقل ؟ ونفى أن العرض كيف لاينقل ؟ فيقول : المنقول ثواب الطاعة . لا نفس الطاعة . لكن لما كانت ثواب الطاعات مراداً له عبر عن نقل مقصودها بنقل الطاعة وكذلك شائع فى الأمثال والأسفار .

فإن قيل : ثواب الطاعة جوهر أو عرض ؟ فإن كان عرضاً . فالإشكال فى نقله قائم . وإن كان جوهراً . فما ذلك الجوهر ؟

فأقول : أعنى بثواب الطاعة أثر الطاعة فى القلب . فإن للطاعات تأثيراً فى القلب بالنور . وللمعاصى تأثيراً بالقسوة والظلمة . وبأنوار الطاعة تستحكم مناسبة القلب من إستعداده لقبول المعرفة . ومشاهدة الحضرة الربوبية . وبالقسوة والظلمة يستعد للبعد والحجاب عن مشاهدة الجمال الإلهية .

فالطاعة مولد لقرب المشاهدة بواسطة الصفاء ، والنور الذى يحدث فى القلب . والمعصية مولد الحجاب بواسطة الظلمة والقسوة الذى يحدث . وبين آثار الحسنات والسيئات تمادى وتضاد . ولذلك قال الله تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات(١) » وقال عليه السلام : « أتبع السيئة ، الحسنة تمحها » والآلام ممحصات للذنوب . ولذلك قال عليه السلام : « إن الرجل يثاب حتى الشوكة تصيب رجله » فالظالم تتبع شهوته بالظلم ، وفيه ما يقسى القلب ويسوده ، فيمحو أثر النور الذى حصل فى القلب من طاعاته ، ومظلوم يتألم وينكسر شهوته ، ويستقر به قلبه ، ويفارق الظلمة والقسوة التى حصلت له من اتباع الشهوات .

---

(١) هود ١١٤ .

ولقد كان ينقل النور من قلب الظالم إلى قلب المظلوم ، وينقل السواد من قلب المظلوم إلى قلب الظالم . فهذا معنى نقل الحسنات والسيئات .

فإن قال قائل : فليس هذا نقلا حقيقياً ، بل حاصله راجع إلى بطلان النور من قلب الظالم ، وحدوث نور آخر فى قلب المظلوم ، وبطلان ظلمة من قلب المظلوم ، وحصول ظلمة فى قلب الظالم ، وليس هذا نقلا .

وأما إسم النقل ، وقد يطلق على هذا الجنس على سبيل الاستعارة ، كما يقال : انتقل الظل من موضع إلى موضع ، وينقل نور الشمس والسراج من الأرض إلى الحائط. وكما يقال: إذا استولت الحرارة بالصيف على وجه الأرض إلى الحائط ، انهزمت السرورة إلى باطنها ، فكل هذا انتقال ، وكما يقال : نقل القضاء والخلافة من فلان إلى فلان . فكل ذلك سمى نقلا ، فكل سبب واحد هو سبب لاتصاف المحل بصفة بعده ؛ إبطالها من محل آخر يسمى نقلا .

فالنقل الحقيقى : أن يكون ما حصل فى المحل الثانى ـ أعنى ما رحل من محل الأول ـ فإن كان مثله ولم يكن عينه يسمى إتصالا نقلا مجازاً ، فهذا معنى نقل الطاعات ، وليس فيه إلا أنه كنّى بالطاعة عن ثوابها ، كما يكنى بالسبب عن المسبب . وسمى إثبات الوصف فى محل ؛ وإبطال مثلها فى محل آخر : نقلا .

وكل ذلك شائع فى اللسان ، ومعناه معلوم بالبرهان ، لو لم يرد الشرع به ، وكيف إذا ورد به .

(فصل)

فى السؤال عن رؤية الله تعالى فى المنام . وأن ذلك مما اختلف فيه الناس .

فاعلم أن الخلاف فى هذا غير متصور بعد الكشف عن حقيقة المسئلة . والحق

أنا نطلق القول : بأن الله(١) يُرى في المنام ، كما نطلق بأنه يُرى رسول الله ﷺ في المنام . وكل من لا يفهم رؤية رسول الله - عليه السلام - في المنام ، كيف يفهم معنى رؤية الله تعالى في المنام ؟ ولعل العالم الذي طبعه من طبع العوام ؛ فهم أن من رأى رسول الله - عليه السلام - في المنام ، قد يرى حقيقة الشخص المودع روضة «المدينة» وأنه شق القبر وخرج مرتحلا إلى موضع الرؤية .

وما أشد جهله أن يتوهم ذلك . فإنه قد يراه ألف راء في ليلة واحدة ، بل في حالة واحدة في ألف موضع ، فكيف يفرض شخص واحد في مكانين في لحظة واحدة في ألف موضع ؟ فكيف يتصور شخص واحد في حالة واحدة بصور مختلفة شخص شيخ وشاب ، وطويل وقصير ، وصحيح ومريض ؟ ويرى على جميع هذه الصور من انتهت حماقته إلى هذا الحد ، فقد أخلع عن بزة العقل ، فلا ينبغي أن يخاطب . فلعله يقول : ما تراه مثاله لا شخصه . فيقال : ما هو مثال شخصه ؟ أو مثال روحه المقدس : غير الصورة والشكل ؟

فإن قال : هو مثاله شخصه الذي هو لحمه وعظمه ودمه ، فأي حاجة إلى تمثيل شخصه ، وشخصه في نفسه متخيل ومحسوس ؟ ثم من رأى شخصه بعد الموت دون الروح فكأنه ما رأى النبي ، بل رأى جسما كان يتحرك النبي ، فكيف يكون رأينا له برؤية مثاله شخصه ؟

بل الحق أنه : مثال روحه المقدس التي هي محل النبوة ، فما رآه من الشكل ليس هو روح النبي وجوهره ولا شخصه ، بل مثال له على التحقيق . فإن معنى قوله عليه السلام : « من رآني في المنام ، فقد رآني » لا معنى له ، إلا أن من رآه صار واسطة بينه وبينه من تعريف الحق إياه . فكما أن جوهر النبوة — أعني الروح المقدسة الباقية من النبي بعد وفاته — منزه من الكون والشكل والصورة ، لكن ينتهي تعريفاته إلى الأمة بواسطة مثال صادق ، فهو حق . ذلك كل المثال هو شكل له لون وصورة ، وإن كان جوهر النبوة منزها عن ذلك ، فكذلك

---

(١) والأصل : إليه .

ذات الله تعالى منزه عن الشكل لكن ينتهى تعريفاته إلى العبد بواسطة مثال محسوس من النور أو غيره من الصورة الجميلة التى يحصل الآن أن يكون مثالا للجمال الحقيق المعنوى الذى لا صورة له ولا لون . ويكون ذلك مثالا صدقاً وحقاً وواسطة فى التعريف . فيقول الرائى : رأيت الله تعالى فى المنام ، لا بمعنى : أنى رأيت ذاته ، كما رأيت النبى ، لا بمعنى الذى أنه رأى ذات النبى ، أعنى ذات روحه ، أو ذات شخصه ، بل بمعنى رأى مثاله .

فإن قيل : النبى مثله ، والله تعالى لا مثل له .

قلنا : هذا جهل بالفرق بين المثل والمثال . فليس المثال عبارة عن المثل . فالمثل عبارة عن المساواة فى جميع الصفات . والمثال لا يحتاج فيه من المساواة . فإن العقل معنى لا يماثله غير مماثلة حقيقية .

ولنا . أن نضرب الشمس له مثالا لما بينهما من المناسبة فى شىء واحد ، وهو أن المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بنور العقل فهذا القدر من المناسبة كما فى المثال يمثل السلطان بالشمس فى النوم ، والقمر بالوزير والسلطان . لا تماثل الشمس بصورته ، ولا بمعناه . ولا الوزير يماثل القمر. إلا أن السلطان له استعلاء على الكافة ، ويعم أثره الجميع ، والشمس تناسبه فى هذا القدر . والقمر واسطة بين الشمس والأرض فى إفاضة أثر النور . كما أن الوزير واسطة بين السلطان وبين الرعية فى إفاضة نور العدل . فهذا مثال وليس بمثل . والله تعالى قال : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح(١) » الآية .

وأى مماثلة بين نوره وبين الزجاجة والمشكاة والشجرة والزيت . وقال :

---

(١) نص الآية الكريمة . « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى . يوقد من شجرة مباركة . زيتونة . لا شرقية ولا غربية . يكاد زيتها يضىء . ولو لم تمسسه نار . نور على نور . يهدى الله لنوره من يشاء . ويضرب الله الأمثال للناس . والله بكل شىء عليم » النور [٣٥]

« أنزل من السماء ماء . فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبداً رابيا »(١) ذكر تمثيل القرآن ، والقرآن صفة(٢) قديمة لا مثل له. وكيف صار إنما مثالا له ، وكم من منامات عرضت على رسول الله ﷺ من رؤية الحبل واللبن وقال: « اللبن هو الإسلام . والحبل هو القرآن » إلى أمثال له لا تحصر . فأى مماثلة بين اللبن والإسلام ؟ وبين الحبل والقرآن ؟ إلا فى مناسبة ، وهى أن الحبل متمسك به النجاة ، والقرآن متمسك به النجاة . واللبن غذاؤه الحياة الظاهرة ، والإسلام غذاؤه الحياة الباطنية . فهذا كله مثال . وليس بمثل . بل هذه الأشياء لا مثل لها . والله تعالى لامثل له . لكن له أمثلة تحاكيه لمناسبة معقولة من صفاته تعالى . فإنا إذا عرفنا المسترشد : أن الله تعالى كيف يخلق الأشياء ؟ وكيف يعلمها ؟ وكيف يريدها ؟ وكيف يتكلم ؟ وكيف يقومها الكلام بنفسه ؟ مثلنا جميع ذلك بالإنسان . ولولا أن الإنسان عرف من نفسه هذا للصفات ، لما عرف وفهم مثاله فى حق الله تعالى حق ، فالمثال فى حق الله تعالى حق ، والمثل باطل .

فإن قيل : هذا التحقيق ذكرتموه ؛ ليس يفضى إلى أن الله تعالى يُرى فى المنام، بل إلى أن الرسول أيضاً لا يرى . فإن المرئى مثاله لا عينه . فقوله عليه السلام : « من رآنى فى المنام فقد رآنى » فهو نوع يجوز معناه : كأنه رآنى وما سمع من المثال كأنه سمع منى .

قلنا : وهذا ما يريده القائل بقوله : رأيت الله فى المنام ، لا غير . أما أن يريد به أنه رأى ذاته على ما هو عليه فلماذا (٣) حصل الاتفاق على أن ذات الله تعالى ، وذات النبى يجوز أن يرى ؟ وكيف ينكر ذلك مع وجوده فى المنامات ؟ فإن لم يره نفسه ، فقد تراءى به إليه من جماعة أنهم رأوا ذلك ، لأن المثال المعتقد قد يكون صادقاً وقد يكون كاذباً . ومعنى الصادق جعل الله تعالى إياه واسطة بين الرأى

---

(١) سورة الرعد ١٧ .

(٢) المعتزلة يقولون بخلق القرآن .

(٣) عبارة الأصل ممكن أن تقرأ . ماما إذا .

وبين النبي في تعريف الأمور . وفي قدرة الله تعالى . مثال هذه الواسطة بينه وبين العبد والتصادق الحق به وهو موجود . فكيف ينكر إمكانه ؟

فان قيل : إذا كانت رؤية الرسول عليه السلام متجوزاً . فالتجوز بما قد أذن في إطلاقه في حقه ، ولا يجوز في حق الله تعالى من الجلايات إلا ما ورد الإذن به ، ولنا ورد الإذن بإطلاق ذلك أيضاً . قال رسول الله ﷺ : « رأيت ربي في أحسن صورة » .

وهذا . مما قد أورد في الأخبار التي وردت في إثبات الصورة لله تعالى كقوله : « خلق الله آدم على صورته » الذات . إذ الذات لا صورة لها إلا من حيث التجلي بالمثال ، كما تجلى جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي ، وفي غيره من الصور حتى أنه رآه مراراً كثيرة ، وما رأى جبريل عليه السلام في صورة الحقيقة إلا مرتين .

وتمثيل جبريل في صورة دحية الكلبي ليس بمعنى لأنه أنقلب ذات جبريل صورة دحية الكلبي ، لمعنى أنه أظهر تلك الصورة للرسول عليه السلام مثالا مؤدياً عن جبريل ما أوحى إليه . وكذلك قوله تعالى : « فتمثل لها بشراً سوياً(١) » وإذا لم يكن ذلك استحالة في ذات الملك . بل بقي جبريل على حقيقته وصفته . وإن ظهر للنبي في صورة دحية . فلا يستحيل مثل ذلك في حق الله في يقظة ولا منام . فهذا ما يدل من جهة الخبر على جواز الإطلاق .

وقد ورد من السلف : إطلاق ذلك اللفظ في حق الله صادق لا يمنع منه . ولا يحد . ثم إذا كان لا يوهم الخطأ عند المستمع . وهذا لا يوهم رؤية الذات عند الأكثرين . لكثرة تداول الألسنة له . وإن فرض شخص يوهم عنده خلاف الحق . فلا ينبغي أن نطلق معه القول . بل نفسر له معناه . كما يجوز لنا أن نقول : « إنا نحب الله ونشتاق إليه . ونريد لقاءه » .

---

(١) مريم ١٧ .

وقد يسبق إلى فهم قوم من هذه الإطلاقات : خيالات فاسدة. والأكثرون يفهمون معناه ، وعلى وجهه من غير خيال فاسد ، ويدعى فى هذه الإطلاقات حال المخاطب . يجوز الإطلاق من غير كشف وتفسير . حيث لا إيهام . ويجب الكشف عند الإيهام على الجملة . وهذا يرد الخلاف إلى إطلاق اللفظ وجوازه بعد حصول الاتفاق على حفظ المعانى : أن ذات الله تعالى غير مرئية ، وأن المرئى مثال . وظن من ظن إستحالة المثال فى حق الله تعالى خطا . يضرب الله تعالى[لذاته] واصفاته الأمثال . وتنزه عن المثل والمثال .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبى بعده .

تمت الرسالة بحمد الله ، وحسن توفيقه فى يوم الاثنين المبارك من شهور سنة تسعين وألف من الهجرة النبوية المحمدية .

[تمت الرسالة]

فهرست كتاب
نفخ الروح والتسوية

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

من كتب المؤلف المطبوعة وغير المطبوعة

١ - إعجاز القرآن — رد على كتاب « الفن القصصي في القرآن الكريم » نشر الأنجلو المصرية - الطبعة الثانية -

٢ - أقانيم النصارى — نشر دار الأنصار بمصر

٣ - أكبر مجاهد فى التاريخ الحديث - الشيخ رحمت الله الهندى - نشر الكليات الأزهرية

٤ - بيان فساد بنى إسرائيل وعلوهم الكبير فى الأرض مرتين المرة الأولى سنة ١٩٦٧ والمرة الثانية سنة ٣٢٥٧ ميلادية — نشر دار الأنصار بمصر

٥ - نبوءة محمد فى الكتاب المقدس — نشر دار الفكر العربى .

٦ - لا نسخ فى القرآن — نشر دار الفكر العربى

٧ - الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والإسلام — نشر دار النهضة العربية

٨ - المدرسة الصولتية — نشر دار الأنصار

٩ - علم السحر فى التوراة والتلمود والإنجيل والقرآن

١٠ - التوراة السامرية (النص العربى) نشر دار الأنصار

١١ - التوراة أسفار موسى الخمسة (دراسة ونقد)

١٢ - تفسير إنجيل برنابا

١٣ - الأناجيل الأربعة (نقد)

١٤ - البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل

١٥ - المسيا المنتظر

١٦ - يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية — نشر دار التراث العربى بميدان الأزهر

١٧ - يقظة أولى الاعتبار ، بما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار — تأليف الإمام العلامة صديق حسن خان — نشر مكتبة عاطف بجوار إدارة الأزهر

١٨ - شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل — تأليف الإمام العلامة إمام الحرمين الجوينى — نشر الكليات الأزهرية

١٩ - إظهار الحق — تأليف الإمام العلامة رحمت الله الهندى - نشر دار التراث العربى بميدان الأزهر — جزءان

٢٠ - الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام — تأليف الإمام القرطبى — نشر دار التراث العربى — أربعة أجزاء

٢١ - العقيدة النظامية — تأليف الإمام العلامة إمام الحرمين الجوينى — نشر الكليات الأزهرية

٢٢ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل — تأليف الإمام العلامة ابن حزم (الجزء الخاص بنقد التوراة والإنجيل)

٢٣ - هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى - تأليف الإمام العلامة ابن قيم الجوزية — نشر المكتبة القيمة بشارع مصر والسودان رقم ٧٤

٢٤ - منظومة الإمام الأبوصيرى فى الرد على النصارى واليهود — تأليف الإمام البوصيرى — نشر مكتبة المدينة المنورة بميدان العتبة

٢٥ - التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة - تأليف الإمام القرطبي — نشر مكتبة الكليات الأزهرية

٢٦ - تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري — تأليف ابن عساكر الدمشقي — نشر الكليات الأزهرية

٢٧ - النبذة الكافية في أصول أحكام الدين — تأليف الإمام ابن حزم الأندلسي نشر الكليات الأزهرية

٢٨ - ملخص من كتاب إبطال القياس - تأليف الإمام ابن حزم الأندلسي - نشر التراث العربي بمصر

٢٩ - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة - للإمام أبي حامد الغزالي - نشر دار الأنصار

٣٠ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع - للملطي الشافعي - نشر دار الأنصار

٣١ - السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام - نشر دار التراث العربي

٣٢ - نفخ الروح والتسوية - تأليف الإمام أبي حامد الغزالي - نشر المدينة المنورة بميدان العتبة بمصر

٣٣ - إسم نبي الإسلام في إنجيل عيسى عليه السلام حسب شهادة يوحنا نشر مكتبة المطيعي بميدان عبده باشا بمصر .

٣٤ - الصلاة من أحاديث النبي ﷺ (توزيع هدايا) .

٣٥ - من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية — نشر دار الأنصار .

رقم الإيداع / ١٩٧٩

مطبعة دار البيان — ت ٩٣٨٦١٩